سلسلة رسائل للشباب 5



فتيات الصحابة

رضوان الله عليهن

Ftyat ElSShaba

د. محمد بن عبد الله الدويش

مدار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد :

فللنّموذج والقدوة أثرٌ بالغ في النّفوس؛ إذ هو الشّاهد على تأهّل المعاني النّظرية للتّطبيق، وليس أدلّ على ذلك من عناية القرآن الكريم بالنّموذج والقصّة، فيتكرّر الحديث كثيرا في القرآن عن قصص الأنبياء والصّالحين، بل يجعلهم الله مثلا للمؤمنين: {**وضرب الله مثلا للذين ءامنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنّة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين * ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين**} [التحريم: ١١-١٢] .

والسّيرة والتّاريخ الإسلامي بحاجة اليوم إلى إعادة قراءة، وإلى أن يُعرض ويبرز أمام الجيل بلغة أخرى ومنهج آخر، وذلك لا يعني طيَّ صفحات ما سطّره سلف الأمّة وإنّما إعادة عرض بعض الصّفحات وترتيبها بما يتلاءم مع احتياجات النّاس في هذا العصر.

إنّ دراسة موقع الطفل والشّاب والمرأة في التاريخ الإسلامي - بدءا بسيرة النّبي ﷺ وجمع المتفرّق منها وتحليله، يجيبُ عن تساؤلات وإشكالات يُعاني منها المربّون اليوم، ويرسم نموذجا وقدوة صالحة أمام الجيل.

الجيل المسلم اليوم أحوج ما يكون إلى القدوة الصّالحة، في هذا العصر الذي فقدت أمّة الإسلام فيه هويّتها، ودخل معظم شباب المسلمين وفتياتهم سباقا محموما على الشّهوات والملذّات، وأصبحت قدواتهم ومُثُلُهم محصورة في جيل الفنّ السّاقط والغناء الماجن، أو في جيل الرياضة واللهو العابث.

وقد أدرك الأعداء خطورة موقع المرأة فتشدّقوا بتبنّي قضيّتها، وارتفعت الصّيحات هنا وهناك مطالبة بتحريرها، مدّعية أنّ التّبرج والسّفور، والخروج للعمل والاحتكاك بالرّجال، بل السير وراء طرق الفاحشة والرّذيلة، أنّ ذلك كله حق مسلوب للمرأة تفتقده اليوم.

وعمّت أصوات دعوات التّغريب مشرق العالم الإسلامي اليوم ومغربه، وها هي الصّحف والمجلات، وها هي برامج الإعلام السّاقط تملأ الآفاق وكلّها تضرب على هذا الوتر وتقرع طبول الحرب على الدّين والفضيلة والعفاف.

فحريٌّ اليوم بمن يملك في قلبه غيرة على دين المسلمين وتاريخهم أن يسعى لإبراز الصّفحات اللامعة المشرقة من تاريخ الصّدر الأوّل أمام شبابنا وفتياتنا.

ولئن كان الشّباب بحاجة ماسة لإبراز هذا النّموذج، فالفتيات أشدّ حاجة، وقضيتهنّ أعظم إلحاحا.

ومن هنا تجيء هذه المحاولة لجمع شتات طائفة من أخبار فتيات الرّعيل الأوّل متممة ومكملة لأختها (**شباب الصحابة**)، وتأتي ضمن سلسلة رسائل للشّباب تأكيدا على ما يراه الكاتب من أنّ ما صدر من هذه السلسلة ليس خاصا

بالشّباب وحدهم؛ **إذ الخطاب في الشّرع يجيء للمؤمنين، والمؤمنات يدخلن فيه تبعا**، وهو يرى أنّه : كما أنّ الفتيات بحاجة للاستنارة والاستفادة من سير شباب الرّعيل الأول، فالشّباب كذلك بحاجة لدراسة سير من اصطفاهنّ الله ومنَّ عليهن بفضيلة الصّحبة.

إنّ من يتأمّل سير المؤمنات من الرّعيل الأوّل يرى فيهنّ مثلا عاليا، وقدوة صالحة؛ في الإيمان والعبادة والصّلة بالله تبارك وتعالى، وفي البذل للدّين والتّضحية والصّبر والثّبات، وفي الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته، وفي طلب العلم الشرعي وتحصيله، وفي الخلق الحسن والسّمت الصّالح، إنّها مُثل وقدوات تبقى أمام الجيل على مدى الزّمان والمكان، أمام المؤمنين والمؤمنات، أمّام الرّجال والنّساء على حدّ سواء.

فاستعنت بالله تبارك وتعالى في جمع ما تيسّر من أخبار فتيات الّصحابة وسيرهنّ، وقد سلكت في هذا الكتاب ما سلكته في الكتاب السابق (**شباب الصحابة**) ، غير أني مددت العمر إلى الثّلاثين، لأنّ ما روي من أخبار النّساء لا يقارن بما روى من أخبار الرّجال، فكانت سير الشّباب تضيق عن إيراد من فوق الخامسة والعشرين بخلاف سير الفتيات.

وسعيتُ قدر الإمكان إلى ربط القصص والنماذج بالواقع المعاصر وهموم الفتاة المسلمة، وإيراد بعض الشّواهد خاصة من أخبار النّساء وسيرهنّ[1] .

أسأل الله أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، وأن يبارك في هذا الجهد وينفع به، وأن يرزقنا محبة أصحاب النّبي ﷺ ويحشرنا معهم؛ إنه سميع مجيب.

محمد بن عبدالله الدويش

[1] التزمت أن تكون النماذج من أخبار الفتيات اللاتي دون الثلاثين، لكن قد أورد أخبارا لغيرهن للاستشهاد.

مدخل

ثمّة مفاهيم واقتناعات حول قضية المرأة تكوّنت وترسّخت بفعل عوامل ومؤثّرات عدّة، وتحوّلت إلى بدهيّات جعلت كثيرا من النّاس ينطلق منها مباشرة ويغفل عن أصلها ومنشئها ومدى سلامتها واتّفاقها مع المنهج الشّرعي.

ومنها **أنّ للمرأة خصوصيّة فطرية، ترتّب عليها بعض الخصوصيّة في الأحكام الشرعيّة مما تتميّز به عن الرّجال، وهذه الخصوصيّة إنّما هي في أحوال استثنائية**، إذ الأصل العموم، فخطاب الشرع يأتي عاما يخاطب به الإنس والجن، الرّجل والمرأة، الكبير والصغير.

لكن بعضهم يعكس المسألة فيجعل الخصوصيّة هي الأصل، وتبدو مظاهر هذا الفهم في مطالب كثيرة بتوجيه حديث خاصّ للمرأة في كلّ قضية تُطرح.

ومن يتأمّل سيرة النّبي ﷺ يرى التّوازن في التّعامل مع هذه القضية؛ فهو لا يُهمل المرأة بل يوّجه لها الخطاب الخاصّ فيما يخصّها، ثمّ تبقى القاعدة بعد ذلك عموم الخطاب، فكلّ ما ورد عنه ﷺ من توجيه وأمر ونهي ووعظ إنّما يخاطب به الجميع دون استثناء، وإن كان قد استمعه الرّجال، أو ورد بلغة التّذكير.

إن هذه النّظرة علاوة على خطأ منطلقها، تُورث عِبْئا لا رصيد له يتضمّن مزيدا من المطالبة بعطاء وخطاب خاصّ يُوجه إلى ما لا يدخل ضمن دائرة خصوصيّتها، وهي أيضا تحرم المرأة من كثير مما يطرح في السّاحة؛ نظرا لأنّها تنتظر الخطاب الخاص في كلّ قضيّة .

ويتمثل الشّاهد لهذه الحقيقة في تراث الأمة فقد ((عرف تراثنا التّعامل مع خصوصيّات المرأة؛ فكانت لها بعض الأحكام الفقهية التي قرّرها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ودوّنها علماء المسلمين وجّلّوها[1] في مؤلفاتهم، كأحكام الطهارة والنّكاح والميراث ونحو ذلك، كذلك أحكام الآداب الشرعيّة مثل: اللباس وضوابط العلاقات الاجتماعية التي تكون فيها طرفا مع آخرين، رجالا ونساء وأطفالا وخدما ونحو ذلك، وما وراء ذلك من خصوصيّات فإنّ الخطاب الإسلامي كان خطابا للإنسان بكامله، دون تفرقة بين أجناس أو طبقات أو نساء ورجال)) .

[1] أي أوضحوها .

طلب العلم

إنّك لست بحاجة إلى مزيد جدل وحوار أو استعراض للأدلة والنّصوص لإقناع أحد بأهمية العلم والحاجة إليه، فالجميع يدرك ذلك، **والدّليل على هذا أنّه لا ينسب أحد للجهل إلا اعتبر ذلك ذمّا ونقصا ولو كان هو جاهلا فعلا، ولا ينسب أحد للعلم إلا اعتبر ذلك محمدة وثناء**، بل إنّ العلم أفاد الحيوان البهيم؛ فصيد الكلب المعلَّم يحلّ، وصيد غير المعلَّم لا يحلّ، فإذا كان هذا الشّأن في الحيوان، فكيف بالإنسان الذي كرّمه الله وأعلى منزلته؟

وحيث كان العلم بهذه المنزلة التي جعلته يفضل على نوافل العبادات، وجعلت فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، فقد كان لنساء الصّحابة القدح المُعلَّى وقصب السّبق في ذلك؛ ومن صور عنايتهنّ بالتّعلم ما يلي:

١ - حفظ القرآن:

في وقتٍ لم تكن الوسائل المتاحة أمام النّاس تيسّر لهم أسباب التّعلم، فالقارئ والمتعلّم للكتابة فيهم قليل، والمصحف ليس مهيأً مجموعا للنّاس يحفظون ويقرؤون منه كما أرادوا، ناهيك عن أجهزة التّسجيل التي كسرت حاجز الأمية وأتاحت استماع القرآن لكل الفئات والأعمار، وفي أيّ وقت يشاء المستمع.

لكن حين تعلو الهمّة وترتفع العزيمة تهوي كلّ تلك الصّعاب، وتزول كل تلك العقبات وغيرها، فلنر نموذجا من عناية فتيات الصّحابة بحفظ القرآن الكريم، وكيف يغتنمن الفرصة ويستثمرنها.

فعن بنتٍ لحارثة بن النّعمان قالت: (ما حفظت (ق) إلّا من في[1] رسول الله ﷺ يخطب بها كلّ جمعة ـ قالت: وكان تنّورنا وتنّور[2] رسول ﷺ واحدا) .

فأين فتياتنا اليوم من الاعتناء بحفظ القرآن الكريم وتعلّمه، لاسيما وقد تيسّرت السّبل، وتعدّدت الوسائل ولم يبق لأحد عذر في التّخلف؟

٢ - السؤال عن العلم:

كانت بعض فتيات أصحاب النّبي ﷺ يستثمرن فرصة قربهن من النّبي ﷺ فيسألن عما يشكل عليهن من أمور الدين، وحين ترى إحداهن أمرا لا تدرك وجهه ومأخذه تسأله ﷺ عنه، وقد نُقِلت لنا من عنايتهن -رضوان الله عليهن- بالسّؤال أخبار عدّة يضيق المقام عن استيعابها، وهذه طائفة منها:

عن فاطمة رضي الله عنها قالت دخل علي رسول الله ﷺ فأكل عرقا[3]، فجاء بلال بالأذان، فقام ليصلي فأخذت بثوبه فقلت: يا أَبَهْ، ألا تتوضأ؟ فقال: ((**ممّ أتوضأ يا بنيّة؟**)) فقلت: مما مسّت النّار، فقال لي: ((**أوليس أطيب طعامكم ما مسّته النّار؟**)) .

وحين رأت حفصة رضي الله عنها النّاس في الحجّ أحلّوا ولم يحلّ ﷺ، تشوّفت[4] إلى معرفة الحكم في ذلك، فتوجّهت له ﷺ بالسّؤال، فعن ابن عمر عن حفصة زوج النّبي ﷺ ورضي الله عنها أنّها قالت: يا رسول الله، ما شأن النّاس حلُّوا بعمرة ولم تحلّل أنت من عمرتك؟ قال: ((**إني لبَّدْتُ رأسي وقلّدتُ هديي فلا أحلّ حتّى أنحر**)) .

---

[1] أي من فم رسول الله ﷺ .

[2] التنور هو : الذي يوضع فيه الخبز لينضج .

[3] العرْقُ: العظم إذا كان عليه لحم .

[4] تشَوفت أي طمحت .

ولإدراكهن -رضوان الله عليهن- أنّ تلاوة كتاب الله تبارك وتعالى لا يسوغ أن تقف عند مجرد ترداد ألفاظه بل لا بدّ من التّدبر وإدراك المعاني، فقد حفظت لنا السّنة مواقف عدّة من سؤالهن للنّبي ﷺ عن معاني ما قد يشكل عليهن من كتاب الله تبارك وتعالى.

فأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تحكي عن نفسها أنّها أوّل النّاس سألت النّبي ﷺ عن معنى آية من كتاب الله تبارك وتعالى.

فعن مسروق قال: (كنت متكئا عند عائشة رضي الله عنها فقالت: يا أبا عائشة، ثلاثٌ من تكلّم بواحدة منهنّ فقد أعظم على الله الفرية، قلتُ: ما هن؟ قالت: من زعم أنّ محمدا ﷺ رأى ربّه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متّكئا فجلستُ فقلت: يا أم المؤمنين، ولا تعجليني، ألم يقل الله عز وجل: {**ولقد رآه بالأفق المبين**} ، {**ولقد رآه نزلة أخرى**} ؟ فقالت: أنا أوّل هذه الأمّة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: ((**إنّما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرّتين، رأيته منهبطا من السّماء سادّا عِظمُ خلقه ما بين السّماء إلى الأرض**)) .

ثمّ استدلت رضي الله عنها على ما تقول بآيات من كتاب الله تدلّ على علمها وفقهها، فقالت: (أو لم تسمع أنّ الله يقول: {**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير**} ؟ أو لم تسمع أن الله يقول {**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم**} ؟ قالت: ومن زعم أنّ رسول الله ﷺ كتم شيئا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله يقول: {**ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**} ، قالت: ومن زعم أنّه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول: {**قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما**

يشعرون أيان يبعثون} .

ومع الأهمية الملحة للسّؤال وضرورته نرى أنّ بعض فتيات المسلمين اليوم يُفَوّْتِنَ على أنفسهن فرصا نادرة للتّعلم والاستزادة؛ إذ قد يوفق الله بعض الفتيات أن تكون بنتا أو أختا لأحد طلبة العلم فتكون أقل النّاس استفادة منه، ورحم الله عكرمة إذ يقول : ((إن أزهد النّاس في عالم أهله)) .

وقد أمر الله تبارك وتعالى من لا يعلم بالسؤال فقال: {**وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**} [النحل: ٤٣] .

وها هو حَبْرُ الأمّة ابن عباس رضي الله عنهما يقول: (**إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النّبي ﷺ**) ، ووصفه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله: ((**ذاكم فتى الكهول، إنّ له لسانا سؤولا، وقلبا عقولا**)) .

٣ - المراجعة والمناقشة:

والعلم عندهن – رضوان الله عليهن– لم يكن قاصرا على مجرد الحفظ للأخبار والرّوايات، بل كان مقرونا بالفهم والفقه، ولهذا حين يرد على إحداهن نصٌ تعيه وتفهمه ثمّ تقوم بربطه بسائر النّصوص الشرعيّة، وحين يبدو لديها لَبْسٌ أو لا تفهم التّوفيق بين هذه النّصوص تراجع النّبي ﷺ وتناقشه في ذلك.

فعن حفصة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : ((**إني لأرجو أن لا يدخل النّار إن شاء الله أحد شهد بدرا والحديبية**)) قالت: فقلت: أليس الله عزّ وجلّ يقول: {**وإن منكم إلا واردها** } قال: فسمعته يقول: {**ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا**} .

وتحفظ لنا السّنة أيضا موقفا آخر لأم المؤمنين حفصة رضي الله عنها ترى أنّ ما سمعته منه ﷺ قد يتعارض مع قاعدة شرعية مستقرّة لديها فتسأله ﷺ تجليةً

هذا الإشكال.

فعنها رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**يأتي جيش من قبل المشرق يريدون رجلا من أهل مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم فرجع من كان أمامهم لينظر ما فعل القوم فيصيبهم مثل ما أصابهم**)) فقلت: يا رسول الله، فكيف بمن كان منهم مستكرها؟ قال: ((يصيبهم كلهم ذلك ثم يبعث الله كل امرئ على نيته)) .

وهذا الفقه منها رضي الله عنها لم يكن قاصرا على ما تسمعه من نصوص قولية؛ بل يتجاوز ذلك إلى أن ترقب أفعاله ﷺ ثم تسأل عما أشكل عليها.

فعنها رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ ذات يوم قد وضع ثوبه بين فخذيه، فجاء أبو بكر فاستأذن فأذن له وهو على هيئته، ثم عمر بمثل هذه القصة، ثم علي، ثم ناس من أصحابه والنّبي ﷺ على هيئته، ثم جاء عثمان فاستأذن فأذن له فأخذ ثوبه فتجلله، فتحدثوا ثم خرجوا، قلت: يا رسول الله، جاء أبو بكر وعمر وعلي وسائر أصحابك وأنت على هيئتك، فلما جاء عثمان تجللت بثوبك؟ فقال: ((ألا أستحيي ممن تستحيي منه الملائكة؟)) .

ولقد كان هذا الفقه لديها رضي الله عنها يعطيها زادا يدفعها إلى أن تصحح ما تراه من أفعال أصحابه ﷺ يخالف نصا ربما لم يبلغهم، أو كان لهم عذر آخر في مخالفته.

فعن نافع قال: لقي ابن عمر رضي الله عنهما ابن صائد في بعض طرق المدينة فقال له قولا أغضبه، فانتفخ حتى ملأ السكة، فدخل ابن عمر على حفصة وقد بلغها، فقالت له: رحمك الله ما أردت من ابن صائد؟ أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: ((إنما يخرج من غضبة يغضبها)) ؟.

وتحدثنا صهيرة بنت جعفر عن شيء من علم صفيّة أم المؤمنين رضي الله عنها فعنها قالت: (حججنا ثمّ انصرفنا إلى المدينة فدخلنا على صفية بنت حُيَي رضي الله عنها فوافقنا عندها نسوة من أهل الكوفة فقلن لها: إن شئتُن سألتن وسمعنا، وإن شئتن سألنا وسمعتن، فقلنا: سلن فسألن عن أشياء من أمر المرأة وزوجها ومن أمر المحيض، ثمّ سألن عن نبيذ الجرّ فقالت: ((**أكثرتم علينا يا أهل العراق في نبيذ الجرّ، وما على إحداكن أن تطبخ تمرها ثمّ تدلكه ثمّ تصفّيه فتجعله في سقائها وتُوكيء عليه، فإذا طاب شربت وسقت زوجها**)) .

ويستشهد ابن عباس رضي الله عنهما في مسألة من مسائل الحجّ بقول أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما مما يُعطي شهادةً بسعة علمها وحفظها رضي الله عنها.

فعن مجاهد قال: قال عبد الله بن الزّبير رضي الله عنهما : (أفردوا بالحجّ، ودعوا قول هذا -يعني ابن عباس)، فقال ابن العباس رضي الله عنهما : (ألا تسأل أمّك عن هذا؟)، فأرسل إليها فقالت: (صدق ابن عباس، خرجنا مع رسول الله ﷺ حججا فأمرنا فجعلناها عمرة، فحلّ لنا الحلال، حتّى سطعت المجامر[1] بين النّساء والرّجال) .

٤ - الفقه:

ومع الحفظ والجمع للأخبار كنّ رضوان الله عليهنّ أهل فقه وفهم للنّصوص، وهذا من علامة الخير كما قال ﷺ : ((**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين**)) .

وها هي شواهد من فقههن -رضوان الله عليهن:

[1] والمراد أنهم تبخروا بعد أن كان محرما عليهم البخور بسبب الإحرام، والبخور نوع من أنواع الطيب .

عن عروة قال: (سألت عائشة رضي الله عنها فقلت لها: أرأيتِ قول الله تعالى: {**إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما**} [البقرة: ١٥٨] فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصّفا والمروة، قالت: بئس ما قلت يا ابن أختي، إنّ هذه لو كانت كما أوّلتها [1] عليه كانت: لا جناح عليه أن لا يتطوّف بهما، ولكنّها أنزلت في الأنصار؛ كانوا قبل أن يسلموا يُهّلون لمناة الطّاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلّل، فكان من أهل يتحرّج أن يطوف بالصّفا والمروة، فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، قالوا: يا رسول الله، إنا كنا نتحرّج أن نطوف بين الصفا والمروة فأنزل الله تعالى: { **إنّ الصفا والمروة من شعائر الله...**} الآية، قالت عائشة رضي الله عنها : وقد سنّ رسول الله ﷺ الطّواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطّواف بينهما)) .

ومع عروة في موقف آخر وهو يسأل عائشة عن آية من كتاب الله، فعن عروة بن الزّبير أنّه سأل عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى: {**وإن خفتم ألا تقسطوا** } إلى {**ورباع**} فقالت: يا ابن أختي، هي اليتيمة تكون في حجر وليّها تشاركه في ماله، فيعجبه مالها وجمالها فيريد وليّها أن يتزوّجها بغير أن يقسط في صداقها، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنُهوا أن ينكحوهنّ إلا أن يقسطوا لهنّ ويبلغوا بهنّ أعلى سنّتهنّ من الصّداق، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النّساء سواهنّ، قال عروة: قالت عائشة: ثمّ إنّ النّاس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فأنزل الله: {**ويستفتونك في النّساء**} إلى قوله {**وترغبون أن تنكحوهن**} والذي ذكر الله أنّه يتلى عليكم في الكتاب الآية الأولى التي قال فيها: {**وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النّساء**}، قالت عائشة: وقول الله في الآية الأخرى {**وترغبون أن تنكحوهن**} يعني: هي رغبة أحدكم ليتيمته

[1] كما فسرتها عليه .

التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال، فنُهوا أن ينكحوا ما رغبوا في مالها وجمالها من يتامى النّساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهنّ .

ويسألها في موقف ثالث عن آية أخرى، فعن عروة أنّه سأل عائشة رضي الله عنها زوج النّبي ﷺ : (أرأيت قوله {**حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا**} أو (كذبوا) ؟ قالت: بل كذبهم قومهم، فقلت: والله لقد استيقنوا أنّ قومهم كذّبوهم وما هو بالظنّ، فقالت: يا عرية، لقد استيقنوا بذلك، قلت: فلعلها أو {كذبوا} قالت: معاذ الله لم تكن الرّسل تظن ذلك بربّها، وأمّا هذه الآية قالت: هم أتباع الرّسل الذين آمنوا بربّهم وصّدقوهم وطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النّصر، حتى إذا استيأست ممن كذبهم من قومهم، وظنّوا أن أتباعهم كذبوهم، جاءهم نصر الله) .

وعن عباد بن عبد الله بن الزّبير أنّ عائشة رضي الله عنها أمرت أن يمرّ بجنازة سعد بن أبي وقاص في المسجد فتصلي عليه، فأنكر النّاس ذلك عليها فقالت: (ما أسرع ما نسي النّاس، ما صلّى رسول الله ﷺ على سهيل بن البيضاء إلا في المسجد) .

وعن أبي عطية قال: (دخلت أنا ومسروق على عائشة فقلنا: يا أم المؤمنين، رجلان من أصحاب محمد ﷺ أحدهما يعجّل الإفطار ويعجّل الصّلاة، والآخر يؤخّر الإفطار ويؤخّر الصّلاة، قالت: أيهما الذي يعجّل الإفطار ويعجّل الصّلاة؟ قال: قلنا: عبد الله -يعني ابن مسعود- قالت: **كذلك كان يصنع رسول الله ﷺ**).

إنّ الحفظ للنّصوص أمر لا بد منه، وهو مبدأ العلم وأوّل خطوة فيه، لكنّه ليس الخطوة الأخيرة وليس النّهاية بل لا بدّ من الفقه والفهم، وقد أثنى تبارك وتعالى على أحد أنبيائه وأخبر أنّه رزق الفهم فقال: {**ففهمناها سليمان** } ثمّ يعقب

حتى لا يظنّ أحد أنّ في ذلك غمطا لشأن داود عليهما السلام فيقول: {**وكلا ءاتينا حكما وعلما**} [الأنبياء:٧٩] .

و يخبر النّبي ﷺ أنّ الفقه في الدّين دلالة على إرادة الله الخير لعبده فيقول : ((**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين**))، وحين كافأ ﷺ ابن عباس رضي الله عنهما على صنيعه دعا له بهذا الدعاء: ((**اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل**)) .

وجيل صحوتنا المباركة اليوم أحوج ما يكون إلى إدراك هذا المعنى وهو يعيش يقظة علمية مباركة بإذن الله.

إنّ جمع النّصوص في الموضوع الواحد، وإدراك مقاصد التّشريع وحكمته، والتّعرف على أسباب نزول الآيات والوقائع، كلّ ذلك مما يعين على الفهم والفقه السّليم للنّصوص، وهو يحول دون خطأ وخلط أولئك الذين يستدلّون بالنّصوص على واقعهم الفاسد، ويحول أيضا دون أولئك الذين تخفّ لديهم عظمة النّص الشرعي وهيبته فيقفزون عليه ويلتفون عليه باسم الفقه والمصالح وتغير الزّمان.

٥ - سعة العلم:

لقد بلغ من سعة علم عائشة رضي الله عنها أن تكون مرجعا لأصحاب النّبي ﷺ فيسألونها عما أشكل عليهم.

عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال: (**ما أشكل علينا ـ أصحاب رسول الله ﷺ ـ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علما**) .

ولم يقف علم عائشة رضي الله عنها عند فهم كتاب الله، والعلم بأخبار النّبي ﷺ وسنته، بل تجاوز ذلك إلى مدى يجعل ابن أختها عروة بن الزّبير يملكه العجب فيسألها عن ذلك.

فعن هشام بن عروة قال كان عروة يقول لعائشة: (يا أمتاه، لا أعجب من فهمك أقول زوجة رسول الله ﷺ وبنت أبي بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام النّاس، أقول: ابنة أبي بكر، وكان أعلم النّاس (أو ومن أعلم النّاس) ، ولكن أعجب من علمك بالطبّ كيف هو؟ ومن أين هو؟ قال: فضربت على منكبه وقالت: (**أي عرية إنّ رسول الله ﷺ كان يسقم عند آخر عمره ـ أو في آخر عمره ـ فكانت تقدم عليه وفود العرب من كلّ وجه فتنعَتُ له الأنعات وكنت أعالجها له؛ فمن ثمَّ**) .

وبعدُ: فهذه الأخبار غيضٌ من فيضٍ، وقطرةٌ من بحرٍ مما ورد من عناية فتيات الصّحابة رضوان الله عليهنّ بالعلم الذي هو ضرورة ملحة لكلّ مسلم ومسلمة في كلّ زمان ومكان.

ها هي أختي المسلمة نساء أصحاب النّبي ﷺ وعنايتهن بالعلم والفقه في دين الله، فأصبحن قدوة لغيرهن، فحفظ لنا التاريخ مواقف من عناية نساء المسلمات بالعلم والفقه في دين الله.

فمع عناية النّبي ﷺ بالنّساء، ورغم أنهنّ يحضرن مشاهد العلم والخير، فيشهدن الصّلاة معه، ويسمعن القرآن والذّكر، ويشهدن العيد حتى ذوات الخدور ويخصهنّ فيه بخطاب خاصّ، إلّا أّن ذلك لم يكن ليشبع تطلّعهنّ ونهمهن بالعلم، فيرين أنّ الرّجال فاقوهنّ في تحصيل العلم وإدراكه، فيتطلّعن إلى مجلس خاص منه ﷺ ، ويعبّرن له عن هذه الرّغبة وهذا الطلب.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قالت النّساء للنبي ﷺ : غلبنا عليك الرّجال فاجعل لنا يوما من نفسك، فوعدهنّ يوما لقيهُن فيه فوعظهنّ وأمرهنّ، فكان فيما قال لهن: ((**ما منكنّ امرأة تقدّم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابا من**

النّار)) فقالت امرأة: واثنتين؟ فقال: ((**واثنتين**)) .

وها هي أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها تشهد بهذه الشّهادة لنساء الأنصار إذ تقول: ((**نعم النّساء نساء الأنصار، لم يكن يمنعهنّ الحياء أن يتفقّهن في الدّين**)) .

ويحفظ لنا التّاريخ بين صفحاته صورا من عناية بعض النّساء بالعلم، بل تميّزهنّ به، ومن ذلك ما ذكره الحافظ ابن كثير عن أم زينب فاطمة بنت عباس: **((وقد كانت تحضر مجلس الشيخ تقي الدين بن تيمية، فاستفادت منه [الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر] وغيره، وقد سمعتُ الشيخ تقي الدين يثني عليها، ويصفها بالفضيلة والعلم، ويذكر عنها أنّها كانت تستحضر كثيرا من (المغني)**[1] **أو أكثره، وأنه كان يستعد لها من كثرة مسائلها، وحسن سؤالاتها وسرعة فهمها))**.

وفى زماننا يتأكّد هذا الأمر، إذ على الأمّة اليوم أن تستنفر طاقاتها وتستجمع قواها، والنّساء جزء له أهمية في هذا الميدان، وثمّة أمور عدة تؤكد أهمية العلم والعناية به لدى الفتاة المسلمة اليوم، نعرض بعضا منها فيما يلي:

الأمر الأول:

حين تحمّل المرأة المسلمة زادا من العلم الشرعي فهو وسيلة بإذن الله لتربية أبنائها وتعاهدهم ورعايتهم، وتعليمهم ما يجهلون من دينهم، وما أجمل أن تعتني الأمّ بتعليم أولادها أحكام العبادات وآدابها، وتُوقِفهم على سنّة النّبي ﷺ ، فهي تراهم يتطهّرون وتراهم يصلّون، وتعيش معهم سائر أمور اليوم والليلة.

هي كذلك تمثل مرجعا مهما وقريبا لبناتها خاّصة في المسائل التي يستحيين

[1] كاتب ضخم يحوي عدّة مجلدات في الفقه .

من سؤال آبائهنّ ومعلماتهنّ، وتكون قلبا مفتوحا لهن يستمع وينصح ويوجه ويعلم.

الأمر الثاني:

تحتاج الفتاة اليوم لرصيد من العلم يكون زادا يمكن أن تملأ به المجالس بديلا للهو والحديث غير المفيد، وما أكثر الهموم التي يجب أن تطرح للنّقاش والحوار في مجالسنا.

الأمر الثالث:

تحتاج الفتاة أيضا للعلم حين تكون معلمة، فلا يقف دورها حينئذ عند مجرّد قراءة الكتاب المدرسي وسرد ما فيه، بل تصبح مرجعا لطالباتها، وحين تقدّم لهن النّصيحة يشعرن أنّها تتكلّم بعلم لا بمجرد عواطف.

ولئن كانت طبيعة المرأة تحول بينها وبين بعض الفرص للتّعلم، فإنّ التّقنية المعاصرة اليوم قد هيّأت أسبابا ووسائل كثيرة يمكن أن تستفيد منها الفتاة في تحصيل قدر من العلم ربّما كان يصعب عليها فيما سبق.

فالكتب اليوم غدت سهلة وميسّرة وفي متناول كلّ منّا، وقلّما يخلو منها بيت أو منزل، والأشرطة المسجّلة التي تحوي دروس أهل العلم وأقوالهم وفتاواهم صارت في متناول الجميع، بل إنّ الفتاة تستطيع الاستماع إليها وهي تقضي ساعات في إعداد الطعام وكي الثّياب وغير ذلك من الأعمال، وغير هذه الوسائل كثير.

فما بالنا مع هذه الفرص نرى بعض الفتيات الفاضلات يشتكين من الفراغ ويبحثن عما يقضين به أوقاتهن؟ لذا فهن يمضين أوقاتا طويلة في قراءة الصّحف أو المكالمات الهاتفية مع الصّديقات والقريبات.

العبادة

لقد خلق الله الإنسان، وسخر له ما في السموات والأرض، كل ذلك من أجل تحقيق غاية واحدة ألا وهي عبادته تبارك وتعالى {**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**} [الذاريات ٥٦] ، والعبادة هي الغاية التي بعث الرّسل لأقوامهم من أجلها، ودار بينهم الصراع والخصومة، وكانت دعوة كلّ نبي تتلخص في هذه المقولة {**اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**} [هود ٥٠] .

ولئن كان المسلمون جميعا يشتركون في تحقيق أصل العبادة، إلا أنها تبقى بعد ذلك ميدانا للتّفاضل والتنافس، فكلما ازداد المرء من عبادة ربّه تبارك وتعالى صار أعلى مرتبة وأسمى شأنا ممن ليس كذلك.

ويحتاج المرء المسلم للاعتناء بالعبادة لأنّ الإيمان يزيد وينقص، ومن أعظم ما يُسهم في زيادته **أعمال العبادات**.

ويحتاج إليها لأنها زاد للثّبات بإذن الله تبارك وتعالى، فالقلوب تتقلّب كما أخبر النّبي ﷺ، فعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أقامه، وإن شاء أزاغه**)) ، وكان رسول الله ﷺ يقول: ((يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك)) ، قال: ((**والميزان بيد الرحمن يرفع أقواما ويخفض آخرين إلى يوم القيامة**)) .

وعن سبرة بن فاكهة قال: قال رسول الله ﷺ : ((**قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن ، إن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه**)) .

ويصور ﷺ شدة تقلب قلب العبد تصويرا دقيقا يورث لدى المسلم الوجل والخوف والشّعور بالحاجة إلى تثبيت الله وعونه، ويفسّر له كثيرا من مواقف الانحراف والانتكاس التي يراها، فعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه أنّه قال: لا أقول في رجل خيرا ولا شرا حتى أنظر ما يختم له، ـ يعني ـ بعد شيء سمعته من النّبي ﷺ قيل: وما سمعت؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**لقلب ابن آدم أشدّ انقلابا من القدر إذا اجتمعت غليًا**)).

وفي تصوير آخر لحال القلب يقول ﷺ : ((**مثل القلب مثل الريشة تقلبها الريح بفلاة**[1])) .

ويحتاج العبادة من يدعو إلى الله تبارك وتعالى آكد من غيره من النّاس لتعينه على الاستمرار وتحمّل أعباء الدّعوة ومعاناة النّاس، لذا فكثيرا ما كان الأمر يَرِدُ بها بعد ذكر ما يواجه به ﷺ من صد وإعراض: { **فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن ءاناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى** } [طه ١٣٠] .

ويحتاج إليها لأنّها وسيلة لتربية النّفس وإصلاحها وتنقيتِها من أمراض الشّهوات والشّبهات.

لذا فقد كان الجيل الأوّل من نساء الأمّة مضرب المثل في ذلك، وقدوة لمن جاء بعدهنّ.

قالت عائشة رضي الله عنها : ((**ولم أر امرأة قطّ خيرا في الدّين من زينب، وأتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرّحم وأعظم صدقة وأشدّ ابتذالا لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقرب به إلى الله تعالى**)) .

---

[1] الأرض الواسعة المقفرة، كالصحاري .

ولئن كانت هذه أوصافا عامة لعبادتهن -رضوان الله عليهن-، فسيرهن وأخبارهن تشهد بقدم صدق وسابقة في أبواب الخير والعبادة، فمع طائفة من أخبارهن في ذلك:

الصّلاة:

الصّلاة ثاني أركان الإسلام وأفضلها بعد الشّهادتين، لذا فلنوافلها فضل ليس لغيرها.

عن معدان بن أبي طلحة اليعمري قال: لقيت ثوبان مولى رسول الله ﷺ فقلت: أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنّة، أو قال قلت: بأحبّ الأعمال إلى الله، فسكت، ثمّ سألته فسكت، ثمّ سألته الثالثة فقال: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: ((**عليك بكثرة السجود لله؛ فإنّك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحطّ عنك بها خطيئة**)) قال: معدان ثمّ لقيت أبا الدرداء فسألته فقال لي مثل ما قال لي ثوبان .

وعن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوَضوئه وحاجته فقال لي: ((**سل**)) فقلت: أسألك مرافقتك في الجنّة، قال: ((**أو غير ذلك**)) قلت: هو ذاك، قال: ((**فأعني على نفسك بكثرة السجود**))، لذا كان لهنّ -رضوان الله عليهن- عناية بشأن الصّلاة واجتهاد فيها.

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنّها قالت: (فزع النّبي ﷺ يوم كسفت الشّمس فأخذ درعا حتى أدرك بردائه، فقام بالنّاس قياما طويلا، يقوم ثمّ يركع، قالت: **فجعلت أنظر إلى المرأة التي هي أكبر منّي قائمة وإلى المرأة التي هي أسقم مني قائمة فقلت: إني أحقّ أن أصبر على طول القيام منك**) .

وعنها رضي الله عنها قالت: أتيت عائشة رضي الله عنها وهي تصلي فقلت:

ما شأن النّاس؟ فأشارت إلى السّماء فإذا النّاس قيام فقالت: سبحان الله، قلت: آية؟ فأشارت برأسها؛ أي نعم فقمت حتى تجلّاني الغشي، فجعلت أصبّ على رأسي الماء، فحمد الله عزّ وجلّ ـ النّبيُ ﷺ ـ وأثنى عليه، ثمّ قال: ((**ما من شيء لم أكن أُريته إلا رأيته في مقامي؛ حتى الجنّة والنار، فأوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريب– لا أدري أي ذلك قالت أسماء– من فتنة المسيح الدجال، يقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن– لا أدري بأيّهما قالت أسماء– فيقول: هو محمد رسول الله، جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا واتبعنا، هو محمد ثلاثا فيقال: نم صالحا، قد علمنا إن كنت لموقنا به، وأما المنافق أو المرتاب –لا أدري أي ذلك قالت أسماء– فيقول: لا أدري سمعت النّاس يقولون شيئا فقلته**)) .

وكان لعائشة رضي الله عنها عناية بالصّلاة وهي في بيتها؛ قال القاسم: (كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة رضي الله عنها فأسلّم عليها، فغدوتُ يوما، فإذا هي قائمة تسبّح وتقرأ {**فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم**} (الطور ٢٧) وتدعو وتبكي وترددها، فقمت حتى مللت القيام، فذهبت إلى السوق لحاجتي، ثم رجعت فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي) .

وأم المؤمنين حفصة رضي الله عنها يشهد لها جبريل بوحي من السّماء بأنّها صوّامة قوّامة.

إنّ البيوت التي تعمر بالصّلاة بيوت يحلّ فيها الخير والبركة، وتضيق بالشّياطين فيتنادون فارّين[1] لا مقام لكم.

لذا أوصى النّبي ﷺ بإحياء البيوت بالصّلاة والذّكر فقال ﷺ : ((**اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ولا تتخذوها قبورا**)) .

[1] هاربين .

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((**إذا قضى أحدكم الصّلاة في مسجده فليجعل لبيته نصيبا من صلاته؛ فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرا**)) .

فما أحوجنا اليوم لأن نملأ بيوتنا ونعمرها بعبادة الله: بالصّلاة والصّيام، والذّكر والتّسبيح وتلاوة القرآن الكريم، فيحلّ فيها الخير والبركة، وتكون مدرسة وقدوة للذرية والأولاد الذين يعيشون فيها.

الصيام:

إنّ من رحمة الله تبارك وتعالى وفضله على عباده؛ أن نوّعَ لهم أبواب الخير وطرقَه، وجعلها مراتب ودرجات، فلِعلوِّ شأن الصّيام كتبه على الأمم السابقة {**ياأيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**} [البقرة ١٨٣] ، فثمة صلة وثيقة بين الصيام والتقوى جعلت صيام شهر لله فرضا على المسلمين أجمع، ثمّ فتح الباب بعد ذلك للتّطوع والمسابقة في الخيرات.

و يخبرنا ﷺ عن عظم منزلة الصّوم وعلو درجته فيما يرويه عن ربّه تبارك وتعالى: ((**كلّ عمل ابن آدم له إلا الصّيام فإنّه لي وأنا أجزي به، والصّيام جنّة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه**)) .

وحيث تميز الصائمون عن غيرهم بمعاناتهم للجوع والعطش، وهم يرون النّاس يتمتعون بلذائذ الطعام والشراب، جازاهم تبارك وتعالى يوم القيامة من جنس عملهم، فأعطوا مزية ليست لغيرهم؛ فعن سهل رضي الله عنه عن النّبي

ﷺ قال: ((**إنّ في الجنّة بابا يقال له الريّان، يدخل منه الصّائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد**)) .

ولإدراك فتيات الصحابة -رضوان الله عليهن- هذا المعنى كنّ يجتهدن في الصّيام.

فعن جويرية بنت الحارث رضي الله عنها أنّ النّبي ﷺ دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة فقال: ((**أصمت أمس؟**)) قالت: لا، قال : ((**تريدين أن تصومي غدا؟**)) قالت: لا، قال: ((**فأفطري**)) .

ولأثر الصيام ودوره في حجب النّفس عن الانسياق وراء الشّهوات، وإلجامها بلجام التّقوى، أرشد النّبي ﷺ الشّباب إليه فقال: ((**يا معشر الشّباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصّوم فإنه له وجاء**)) .

ويتأكّد هذا المعنى اليوم في ظل هذا العالم المائج، المليء بما يثير الغرائز والشّهوات، فحين يكون للفتاة نصيب من الصّيام تعتاد حبس النّفس عما تدعو إليه من دواعي الهوى والصّبوة، وتشعر بلذة الانتصار وحلاوة العبادة، فتدرك أنها تعيش في عالم آخر غير عالم اللاهين والعابثين، وتنظر من عَلٍ[1] لواقع زميلاتها اللاتي يعشن في حياة اللهو والسّير وراء الشّهوة ، حينها تملك عينا تنظر بها إلى ما وراء هذا العالم الذي يبدو ظاهرا لامعا برّاقا، فترى فيه وحْلا مُنتنا لا يدرك من عاشه ما فيه من الهوان والنتن لانشغاله بسُّكْر الهوى والهوان، فتحمد الله على الهداية، وتسأله الثبات على دينه.

[1] من مكان أو منزلة عالية .

فانظر بعين الحق وارحمهم بها **** إذ لا ترد مشيئة الدّيان

لو شاء ربّك كنت أيضا مثلهم **** فالقلب بين أصابع الرحمن

الذّكر والتسبيح :

وكان لهن -رضوان الله عليهن- نصيب من الذّكر والتّسبيح لله تبارك وتعالى، فها هي جويرية رضي الله عنها تفتتح يومها بالذّكر والتّسبيح؛ فتجلس ساعات أوّل النّهار لتذكر ربّها وتسبّحه وتثني عليه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن جويرية رضي الله عنها أن النّبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصّبح وهي في مسجدها[1] ثمّ رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: ((**ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟**)) قالت: نعم، قال النّبي ﷺ : ((**لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته**)) .

إن الذكر عبادة ميسرة لا تفارق صاحبها الذي اعتاد عليها سفرا أو حضرا، ليلا أو نهارا، ولهذا أثنى الله تبارك وتعالى على عبادة الصالحين بذلك فقال: {**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار**} [آل عمران ١٩٠-١٩١] .

والأذكار منها ما هو **راتب في اليوم والليلة**، كأذكار الصّباح والمساء والنوم والاستيقاظ وغيرها، ومنها **الذكر المطلق** الذي لا يفارق صاحبه، فحين استوصى أحد الصحابة النّبي ﷺ بعمل يتمسك به أوصاه بالذّكر، فعن عبد الله بن بسر

[1] أي في المكان الذي صلت فيه، فركعت فيه وسجدت فيه .

رضي الله عنه أنّ رجلا قال: يا رسول الله، إنّ شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبّث به، قال: ((**لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله**)) .

إنّ الذكر رفعة في الدّرجات، وحطّ للأوزار والسّيئات، وسبيل لحياة القلب بإذن الله عز وجل، وفوق ذلك كله ذكر الله للذاكر: {**فاذكروني أذكركم** } [البقرة ١٥٢] ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النّبي ﷺ : ((يقول الله تعالى: أنا عند ظنّ عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ[1] ذكرته في ملإٍ خير منهم ..)) .

و الذين اعتادت ألسنتهم الذّكر ولهجت به هم من أبعد النّاس عن الوقوع في الغيبة والنّميمة أو الحديث بما لا يليق، فألسنتهم تستثقل الحديث العابث فضلا عما حرم الله تبارك وتعالى، والله يجزي العبد من جنس عمله فيجازيه على عبادته بحجبه عن المعصية، قال تبارك وتعالى: {**واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون** } [الأنفال ٢٤] .

والذّكر بعد ذلك كلّه عون للمرء على مشاق الدنيا ومتاعبها، فها هو أعلم الخلق بربّه يوصي به ابنته وفلذة كبده ومعها صهره وصاحبه الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى، ولم يوصهما ﷺ به إلا وهو يعلم عظيم أثره.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لابن أعبد: (ألا أخبرك عنّي وعن فاطمة رضي الله عنها كانت ابنة رسول الله ﷺ ، وكانت من أكرم أهله عليه، وكانت زوجتي، فجرت بالرّحى حتى أثر الرّحى بيدها، وأسقت بالقربة حتى أثّرت القربة بنحرها، وقَمَّت[2] البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر فقدم على رسول الله ﷺ بسبي أو خدم

---

[1] في جماعة .

[2] نظّفت البيت، ومنه القمامة .

قال: فقلت لها: انطلقي إلى رسول الله ﷺ فاسأليه خادما يَقِيك حرّ ما أنت فيه، فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فوجدت عنده خدما أو خدّاما فرجعت ولم تسأله ... فذكر الحديث فقال: ((**ألا أدلّكِ على ما هو خير لك من خادم؟ إذا أويت إلى فراشك سبّحي ثلاثا وثلاثين، واحمدي ثلاثا وثلاثين، وكبري أربعا وثلاثين**)) قال: فأخرجت رأسها فقالت: رضيتُ عن الله ورسوله (مرتين) .

ولقد اعتنى علي رضي الله عنه بهذه الوصية وبلغت منه مبلغا؛ إذ حدث عن نفسه فقال رضي الله عنه : ((**فما تركتهنّ منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ**)) قيل له: ولا ليلة **صِفّين**[1] ؟ قال: ((ولا ليلة صِفّين)) .

[1] اسم لمكان وقعت فيه معركة شديدة .

نصرة الدين

إنّ من تكريم الله تبارك وتعالى للناس أن حمّلهم مسؤولية نصرة الدّين والقيام به، ولو شاء تبارك وتعالى لتحقّق ذلك بقدرة خارقة دون أن يكلّف النّاس بذلك، وهو تبارك وتعالى غني عن خلقه: {**ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضلّ أعمالهم** }[محمد ٤].

وحين نهى تبارك وتعالى عباده عن التّخلي عن هذا الواجب أو التّقصير في القيام به أخبر أنّ البديل ليس خارقة أو معجزة: {**وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم**} [محمد ٣٨] .

لذا فقد شعر المسلمون أنّ على كلّ فرد منهم حظه من المسؤولية في القيام بنصرة دين الله والذب عنه، وأصبحت قضية الإسلام والمسلمين قضية تشغل الجميع ويعيشها الجميع، وليست خاصة بفئة دون أخرى، وأن اختلاف طبيعة الفرد ودوره لا يلغي واجبه في المشاركة والقيام بالعبء.

ومن ثم كان للنّساء دور لا ينكر في نصرة الدين، ففي حادث الهجرة –وهو من أخطر حوادث السّيرة وأعمقها أثرا في مسيرة الدعوة الإسلامية– تسجّل أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما هذا الموقف الفريد.

لقد بلغت قيمة هذا الموقف أن صارت تعرف بهذا اللّقب، وحين عير الجاهلون ابن الزّبير بذلك قال مقولته المشهورة:

وعيّرني الواشون أنّي أحبّها *** وتلك شكاة زائل عنك عارها

وحين غادر النّبي ﷺ وصاحبه مكّة دخل عليها جدّها ليطمئنّ على أحوالهم فماذا كان منها؟

عن ابن عبد الله بن الزّبير أنّ أباه حدّثه عن جدته أسماء بنت أبي بكر قالت لما خرج رسول الله ﷺ وخرج معه أبو بكر احتمل أبو بكر ماله كلّه معه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم، قالت: وانطلق بها معه، قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه، قالت: قلت: كلّا يا أبت؛ إنّه قد ترك لنا خيرا كثيرا، قالت: فأخذت أحجارا فتركتها فوضعتها في كُوّة البيت، كان أبي يضع فيها ماله، ثم وضعت عليها ثوبا، ثم أخذت بيده فقلت: يا أبت، ضع يدك على هذا المال، قالت: فوضع يده عليه، فقال: لا بأس إن كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن وفي هذا لكم بلاغ، قالت: لا والله ما ترك لنا شيئا، ولكنّي قد أردت أن أسكّن الشّيخ بذلك .

وحين يقرأ المسلم هذا الموقف ويعود إلى واقعه المعاصر ليُقارن، يرى هذا البون الشاسع، ويدرك أن ثمّة قطيعة هائلة بين الأمّة وتاريخها، وأنّ واقعها يعجز عن الوفاء بكثير من تبجيلها للتاريخ وإعلائها لشأنه، ويطرح المسلم بعد ذلك بجد هذا السؤال: **ما قيمة الدين في نفوسنا؟**

ها هي فتاة في مقتبل العمر لها مطالب النّاس وهمومهم وحاجاتهم، ومع ذلك تتخّلى عن مالها وترضى أن تعيش هذه العيشة.

لقد كان بإمكانها أن تطلب من أبيها أن يترك لهم شيئا من النّفقة، وأن تذكّره بواجبه تجاههم ولن يعيقَه ذلك كلّه عن هجرته أو يصدّه عنها، لكنّها لم تفعل شيئا من ذلك لأنّها تعيش همّا آخر وعالما آخر، وتدرك أنّ القضيّة أكبر من أن تشغل والدها بهذه المطالب.

وحين نورد هذا النّموذج وأمثاله للجيل اليوم فإنّ ذلك **ليس دعوة لهم ليضعوا أنفسهم ضمن قائمة الجائعين والمعوزين**، ولا ليحكموا على أنفسهم بالفقر وعيشة البؤساء، **لكنها دعوة لأن نراجع أنفسنا ونسأل عن قيمة الدين لدينا وعن منزلته في نفوسنا، وما مدى استعدادنا للتضحية في سبيل الله؟** وليكون ذلك خطابا صريحا لأولئك الذين يريدون نصرة الدّين وهم لا يملكون هذه المعاني، دعوة لهم لأن يحقّقوها في أنفسهم أو يبحثوا لهم عن طريق آخر غير هذا الطّريق الذي لا يسلكه إلا الجادّون الأقوياء.

ونلمس في حادث الهجرة أمرا له أهمّيته ودلالته، فلم تكن قضية أسماء نتاج موقف أملاه مجرّد قربها من بيت النّبوة حين كانت ابنة الصّديق، بل نلمس بعدا آخر مع ذلك في هذه القضية، **فحادث الهجرة حادث فريد وخطير وهو يتعلّق بمستقبل الدّعوة آنذاك، نجد أنّه يسهم في هذا العمل فتاة في ريعان الشّباب ألا وهي أسماء رضي الله عنها**، وشابّ تصفه أخته بأنّه ثقف لقن[1] ألا وهو عبدالله بن أبي بكر، وشابّ آخر هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومع أولئك راعي غنم هو ابن فهيرة، إذا فقد كانت قضيّة عاشها الجميع، وشاركها المجتمع بكافة فئاته.

وها هي فاطمة رضي الله عنها تسجّل موقفا آخر:

عن عبد الله رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة وجمْعُ قريش في مجالسهم إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي؟ أيكم يقوم إلى جزور[2] آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسَلَاها فيجيء به **ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه؟** فانبعث أشقاهم فلما سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كتفيه، وثبت النّبي ﷺ ساجدا فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض

---

[1] ثقفٌ: فطن مدرك لحاجته بسرعة، ولقِنٌ: حافظ .

[2] مَا يَصْلُح لأَن يَذْبح من الإِبل (ولفظهَ أُنثى) يقالُ للبَعير: هذه جَزور سمينَةٌ .

من الضّحك، فانطلق منطلقٌ إلى فاطمة رضي الله عنها ـ وهي جويرية ـ فأقبلت تسعى وثبت النّبي ﷺ ساجدا حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبُّهم، فلما قضى رسول الله ﷺ الصّلاة قال: ((**اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش**)) ثم سمى: ((**اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد**)) قال عبدالله: فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثمّ سحبوا إلى القليب قليب بدر، ثم قال رسول الله ﷺ : ((**وأتبع أصحاب القليب لعنة**)) .

وحين أدركن -رضوان الله عليهن- أهمية الجهاد وعلو منزلته ودوره في نصرة الدّين، تطلّعن أن يضربن من ذلك بسهم، وأن يكون لهنّ مشاركة في هذا الميدان. فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت استأذنت النّبي ﷺ في الجهاد فقال: ((**جهادكنّ الحج**)) .

وعنها رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ :يا رسول الله، ألا نجاهد معك؟ فقالت: قال رسول الله ﷺ: ((**لك أحسن الجهاد وأجمله الحج حج مبرور**)) ، فقالت عائشة: فلا أدع الحجّ أبدا بعد أن سمعت هذا من رسول الله ﷺ .

وسارت نساء المسلمين بعد ذلك على الطّريق نفسه، وأدركن أنّ مهمتهن لا تقف عند حد المطالب الشّخصية، وتنوّعت الوسائل والأعمال التي تقوم بها النّساء في نصرة الدين.

فها هي أم سليم رضي الله عنها تكون سببا في إسلام أبي طلحة رضي الله عنه ، فعن أنس رضي الله عنه قال: خطب أبو طلحة أم سليم فقالت: والله ما مثلك يا أبا طلحة يُردّ، **ولكنّك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة** ولا يحلّ لي أن

أتزوّجك، **فإن تسلم فذاك مهري وما أسألك غيره**، فأسلم فكان ذلك مهرها. قال ثابت: فما سمعت بامرأة قطّ كانت أكرم مهرا من أم سليم الإسلام، فدخل بها فولدت له .

وعن عمران رضي الله عنه قال: كنا في سفر مع النّبي ﷺ وإنا أسرينا حتى كنّا في آخر الليل وقعنا وقعة ولا وقعة أحلى عند المسافر منها ... فقال: اذهبا فابتغيا الماء فانطلقا فتلقيا امرأة بين مزادتين أو سطيحتين من ماء على بعير لها، فقالا لها: أين الماء؟ قالت: عهدي بالماء أمس هذه الساعة ونفرنا خلوفا، قالا لها: انطلقي إذا، قالت: إلى أين؟ قالا: إلى رسول الله ﷺ ، قالت: الذي يقال له الصابئ؟ قالا: هو الذي تعنين فانطلقي، فجاءا بها إلى النّبي ﷺ وحدثاه الحديث، قال فاسْتَنْزَلُوها عن بعيرها ودعا النّبي ﷺ بإناء ففرغ فيه من أفواه المزادتين أو سطيحتين وأَوْكَأَ أفواههما وأطلق العزالي، ونودي في النّاس اسقوا واستقوا، فسقى من شاء واستقى من شاء، وكان آخر ذاك أن أعطى الذي أصابته الجنابة إناء من ماء، قال: ((**اذهب فأفرغه عليك**))، وهي قائمة تنظر إلى ما يفعل بمائها، وأيم الله لقد أقلع عنها وإنّه ليخيل إلينا أنّها أشد ملأة منها حين ابتدأ فيها، فقال النّبي ﷺ : ((**اجمعوا لها**)) ، فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها طعاما فجعلوها في ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها، قال لها: ((**تعلمين ما رزئنا من مائك شيئا ولكن الله هو الذي أسقانا**)) فأتت أهلها وقد احتبست عنهم قالوا: ما حبسك يا فلانة؟ قالت: العجب، لقيني رجلان فذهبا بي إلى هذا الذي يقال له الصابئ ففعل كذا وكذا، فوالله إنه لأسحر النّاس من بين هذه وهذه ـ وقالت بإصبعيها الوسطى والسبابة فرفعتهما إلى السّماء تعني السّماء والأرض ـ أو إنّه لرسول الله حقّا فكان المسلمون بعد ذلك يُغيرون على من حولها من المشركين ولا يصيبون الصّرم الذي هي منه، فقالت يوما

لقومها: ما أرى أنّ هؤلاء القوم يدعونكم عمدا فهل لكم في الإسلام، فأطاعوها فدخلوا في الإسلام .

فلقد دخل هؤلاء القوم الإسلام على يد امرأة واحدة.

وقد حفظ التّاريخ نماذج من النّساء اللاتي كان لهنّ دور لا ينكر في الدعوة والوعظ لبني جنسهنّ ومنهن:

عائشة بنت إبراهيم الواعظة العالمة المسندة، قال ابن السمعاني: سألت الحافظ إسماعيل، فقال: امرأة صالحة، تعظ النّساء .

وكان لنساء المسلمين عبر التّاريخ جهد في تعليم العلم، وتدريس كتاب الله تبارك وتعالى، فهذه **فاطمة بنت زعبل** قال عنها أبو سعد السمعاني: امرأة صالحة عالمة تعلّم الجواري القرآن، سمعَتْ من عبد الغافر جميع صحيح مسلم، وغريب الحديث للخطّابي وغير ذلك، وقال عنها الذهبي: الشيخة العالمة المقرئة الصّالحة المعمّرة .

وفاطمة بنت الحسين بن الحسن بن فضلويه قال عنها ابن كثير : وكانت واعظة لها رباط تجتمع فيه الزاهدات .

وأم زينب فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح بن محمد البغدادية قال عنها ابن كثير: وكانت من العالمات الفاضلات، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتقوم على الأحمدية في مواخاتهم النّساء والمردان، وتنكر أحوالهم وأحوال أهل البدع وغيرهم، وتفعل من ذلك ما لا يقدر عليه الرّجال، وهي التي ختمت نساء كثيرا القرآن، منهم أم زوجتي عائشة بنت صديق، زوجة الشيخ جمال الدين المزي، وهي التي أقرأت ابنتُها زوجتي أم الرحيم زينب رحمهن الله وأكرمهن برحمته وجنته آمين .

وتتساءل الفتاة المسلمة اليوم حين ترى هذه النماذج:

وماذا عساها أن تصنع؟

وما الدور الذي يمكن أن تقوم به في نصرة الدين وهي امرأة لها طبيعتها وحياتها الخاصة؟

إنها مجالات وميادين كثيرة، منها:

١ – أن تعدّ أبناءها وتحسّن رعايتهم وتغرس هذه المعاني في نفوسهم، وهي حين تصنع ذلك تقوم بجهد يعجز أن يقوم به أو أن يحقّقه غيرها .

٢ – في محيطها وعالمها الخاص وهي تلميذة أو جارة أو قريبة، حين تحمل النّصيحة والكلمة الطّيبة والدّعوة الصّادقة فهي تقدّم جهدا لا ينكر في نصرة دينها.

إن المسلم الغيور اليوم ليدركه الأسى حين يتأمّل واقع الفتاة المسلمة التي نشأت في بيت يدين بالإسلام ولكنّها تصبح وتمسي فيه على المسلسل السّاقط والغناء الماجن، ولا ترى في بيتها إلا اللهو والعبث.

والأمر لا يحتاج إلى مزيد فقه وعلم[1] ، وليس كما نتصوّره جهد معقّد لا يجيده إلا الخاصة من النّاس، بل حين تأخذ الفتاة بيد صاحبتها وزميلتها وتتحدّث معها عن خطورة طريق الفساد، وأنّ الله فتح للمنيبين طريق التّوبة، أو حين تأخذ بيديها لتجلس مع صاحباتها الأخيار، أو تشاركهنّ في نشاط المصلّى والجمعية المدرسيّة لترى نموذجا من القدوة الحسنة الصّالحة، أو حين تخط بيدها رسالة مناصحة لطيفة، أو تهدي لها شريطا أو كتابا ينوب عنها في إيصال الرسالة والموعظة، إنّها حين تفعل هذا أو ذاك ربّما كتب الله على يديها الهداية والصلاح

[1] أما التصدر للدعوة فيحتاج لأن يملك صاحبه العلم الذي يؤهله، إنما المقصود هنا الدور الذي يجب أن يؤديه المسلم العادي (الدويش).

لإحدى زميلاتها، أو على الأقل تكون قد أدّت الأمانة وقامت بالواجب.

٣ – أو حين تكون معلّمة تدرّس فتيات المسلمين وتقابلهم صباح مساء، فلها حينذاك دور أيّما دور، فكم من فتاة من فتيات المسلمين اليوم قد أصيبت بالغفلة والإعراض، وهي مع ذلك تملك فطرة طيّبة صالحة، فحين تسمع كلمة ناصحة تنبئُ عن عاطفة صادقة فثمّة أمل في تجاوزها هذا المنعطف والمسلك الذي أراده أعداؤها لها.

وكم في مدارسنا اليوم من هؤلاء المعلمات الصّالحات، فحين يدركن دورهنّ ورسالتهنّ ويقمن بهذا الواجب فإنّهن يؤّدين دورا لا ينكر في نصرة الدّين، ويسرن على خطى أسماء وعائشة وفاطمة رضوان الله عليهن.

٤ – وحين تكون زوجةً لرجل أخذ على عاتقه القيام بأعباء الدّعوة إلى الله ونصرة الدّين، فتكون خير معين وسند له في القيام بعبء الدّعوة، فتهيئ له البيت الهادئ المريح، وتُعنى بأولاده ورعايتهم، وتقف خلفه مثبتة ومؤيدة وناصرة كما كانت خديجة رضي الله عنها تقف مع رسول الله ﷺ قائلة له: ((والله لا يخزيك الله أبدا)) .

تحمل المشاق في سبيل الله

لقد جعل الله في هذه الدّنيا مباهج وزينة تأخذ بلبّ النّاس وتفعل فعل السحر في نفوسهم، وتسهم هذه المظاهر الساحرة الفاتنة في بناء المنطلقات والمعايير لدى بعض أهل الدّنيا، وتؤدّي دورها في ترتيب الأولويات لديهم.

أمّا الذين منّ الله عليهم بسلامة البصيرة فهم يضعون هذه المباهج موضعها، ويدركون أنّها متاع زائل وأنّ الباقي إنّما هو في الدار الآخرة: {**زين للناس حب الشهوات من النّساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب * قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد**} [آل عمران ١٤-١٥].

وقد أدرك هؤلاء ببصيرتهم حين استضاءوا بنور الوحي أنّ حقيقة مباهج الدّنيا هي كما أخبر عنها خالقها: {**واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السّماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا**} [الكهف ٤٥].

وفي آية أخرى يصفها تبارك وتعالى بقوله: {**اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**} [الحديد ٢٠].

ولم تكن هذه المعاني لتغيب عن شأن فتيات أصحاب النّبي ﷺ، فها هي

نماذج من سيرهنّ وصفحات من تاريخهنّ :

مع زوجات صاحب الرسالة ﷺ:

عن عبيد بن السباق قال: إنّ جويرية زوج النّبي ﷺ أخبرته أنّ رسول الله ﷺ دخل عليها فقال: ((**هل من طعام؟**)) قالت: لا والله يا رسول الله، ما عندنا طعام إلا عظم من شاة أُعطيتُه مولاتي من الصّدقة، فقال: ((**قربيه، فقد بلغت محِلّها**[1])) .

ويأمر الله تبارك وتعالى نبيّه ﷺ أن يخيّر زوجاته بين زينة الحياة الدنيا ومتاعها، وبين البقاء معه ﷺ ، ذلك أنّ الرسالة والنبوة تعني تحمل تبعات ومشاق لا يطيقها كلّ النّاس، وأولئك اللاتي رضين واخترن العيش في بيت النبوة يدركن تمام الإدراك أنّ هذا الشرف لا يتهيأ لمن يبحثن عن الشّهرة والأضواء.

{**يا أيها النّبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا**} [الأحزاب ٢٨] ، فيخترن -رضوان الله عليهن- الله ورسوله والدار الآخرة، ويودِّعنَ مباهج الدنيا وزخرفها.

وينظرن لغيرهن وهنّ يتقلبن في النّعيم ومتع الدّنيا، وهن يسعدن بالعيش مع أزواجهنّ وأبنائهنّ، فيدركن أنهنّ أكثر نعيما وأهنأ عيشا، فما هي إلا أيّام ويودعن هذه الدار بما فيها ثمّ يلقين الله بهذا العمل الصالح، وهن ينتظرن وعده تبارك وتعالى {**كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية**} [الحاقة ٢٤] حينها فماذا تعني متع الدنيا بأسرها؟

وها هي إحداهنّ تعبر عن شيء من تلك الحياة التي كانت تعيشها مع النّبي ﷺ : عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة: ابن أختي، إن كنّا لننظر إلى

[1] أي زال عنها حكم الصدقة وصارت حلالا لنا، فالنبي ﷺ محرم عليه الأكل من الصدقة .

الهلال ثمّ الهلال ثلاثة أهلّة في شهرين وما أُوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار، فقلت: يا خالة، ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان التّمر والماء، إلا أنّه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار كانت لهم منائح، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانهم فيسقينا .

مع بنت المصطفى ﷺ وزوج ذي النورين:

وها هي رقية بنت رسول الله ﷺ ، لم تكن فتاة مغمورة، إنما كانت بنت خير البشر ﷺ ، سليلة بيت النبوة والشرف، ولم تكن زوجة رجل يعيش على هامش الأحداث، إنما كانت زوجة ذي النّورين، الذي يكفيه شرفا وفخرا أن يتزوج اثنتين من بنات المصطفى ﷺ ، ها هي رضي الله عنها تختار الغربة والمشقة فرارا بدينها، فتهاجر إلى الحبشة، إلى بلاد لا تعرف لسان أهلها، وليس لها هناك أنيس ولامعين إلا الله تبارك وتعالى، وهي إذ تفعل ذلك لم تكن فتاة متبلّدة المشاعر والأحاسيس، إنّما كانت تشعر أّن الأمر جدّ، والقضيّة تتطلب منها أن تعيش لله وتحمّل المشاق في سبيله.

مع ذات النطاقين:

كم كان حديثا ممتعا ما ساقه الأستاذ محمد حسن بريغش وهو يتحدث عن ذات النطاقين[1] فلنورد هاهنا شيئا مما قاله، تاركين ما بقي اختصارا لا زهدا : ((تزوّجت أسماء المسلمة التّقية البرة من الزّبير بن العوّام فارس المسلمين وبطل الزُّحوف، وانتقلت من بيت أبيها إلى بيتها المتواضع البسيط، ولم تحمل معها أحلام الغانيات المترفات في حياة الرغد وبسطة العيش وزينة الحياة، بل كانت تفكر في مستقبل الإسلام ومصير الدعوة، كانت تدرك أنها وزوجها في معركة مع

[1] في كتابه: (ذات النطاقين: أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها، الجزء الأول) وهو كتاب جميل وقيم أنصح كل فتاة مسلمة بقراءته (الدويش) .

الجاهلية والشرك، وأنهما في جهاد لا ينقطع حتى تعلو كلمة الله، وتخفق راية التوحيد فوق العالمين، ولا بد لآمال كهذه أن ينقطع لها صاحبها من دون كلّ الرغبات .. لهذا لم تكن أسماء عبئا على الزّبير في أوّل الزّواج ولا في أي وقت من الأوقات بما لها من مطالب دنيوية ورغبات ذاتية؛ لأنّها لم تطلب الّدنيا للمتعة، ولم تحرص على أمر يتعارض مع واجباتهما نحو الدّعوة وفي تلك المرحلة المهمة، وكذلك لم تطلب من زوجها أن يكون لها وحدها يستجيب لمطالبها ويحقق رغباتها، ويسعى لتوفير السعادة لها – كما تتصورها النّساء – حتى ينقطع لها ويقوم على خدمتها.. إنّها تقوم بخدمة الزّوج وتهيئة كلّ دواعي رضاه لأنّ ذلك جزء من واجباتهما نحو الدعوة، وهو على ثغر خارج البيت، وهي على ثغر داخل البيت، وهذه هي القسمة العادلة)) .

يرحم الله أم إسماعيل:

إنّ عيش المرأة لقضية الدّعوة أمر لم يكن خاصّا بنساء أمّة محمد ﷺ ، فها هي هاجر عليها السلام يحدثنا عنها ﷺ إذ جاء إبراهيم بها وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقا فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارا، وجعل لا يلتفت إليها **فقالت له: آالله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، ثم رجعت،** فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال: ربّ {**إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم** } حتى بلغ {**يشكرون**} وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما في السقاء

عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى أو قال يتلبّط، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصّفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثمّ استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا؟ فلم تر أحدا، فهبطت من الصّفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثمّ سعت سَعْيَ الإنسان المجهود، حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا؟ فلم تر أحدا، ففعلت ذلك سبع مرات، قال ابن عباس: قال النّبي ﷺ : ((**فذلك سعي النّاس بينهما**))، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت: صه ـ تريد نفسها ـ ثمّ تسمّعت فسمعت أيضا فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه –أو قال بجناحه– حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف، قال ابن عباس قال النّبي ﷺ : ((**يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم – أو قال: لو لم تغرف من الماء– لكانت زمزم عينا معينا**)) قال: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة فإن هاهنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه وإنّ الله لا يضيع أهله .

وعلى مدى تاريخ الإسلام كان لزوجات المصلحين دور لا ينكر في الوقوف معهم ودعم قضيتهم، لقد دفعوا حريّتهم ومتاع الدّنيا وزخرفها، دفعوا ذلك كلّه ثمنا يرجون به وجه الله، فتعيش معهم نساؤهم وبناتهم قضيتهم، وتستهين بهذه المشاق حين تعلم أنّها في سبيل الله، بل تقف معهم وفي صفهم معينة ومسدّدة ومثبتة وهي تقول لهم: لا تخافوا علينا فالله يرعانا، وسيروا في طريقكم فنحن معكم، كما قالت خديجة رضي الله عنها لصاحب الرسالة: ((**والله لا يخزيك الله أبدا**)) ويشعرن حينها أنهن يقمن بدور عظيم، وأنّ من نعمة الله عليهن أن اقترن بهؤلاء.

القيام بحق الزوج

إنّ من سنّة الله في الحياة وحكمته في خلقه أن جعل النّاس درجات ومنازل، ونهى تبارك وتعالى أن يتطلّع كلّ من الرّجال والنّساء إلى ما فضل به بعضهم على بعض فقال: { **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** } [النّساء ٣٢] .

وقد جعل الله القوامة والأمر والنّهي في بيت الزّوجية للزّوج، وفرض على الزّوجة طاعته في غير معصية الله، بل إنّها لا يجوز أن تصوم تطّوعا دون إذنه، أو تخرج من بيته أو تدخل فيه من لا يأذن له، ولو أمر أحد بالسّجود لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها.

و المرأة التي تعرف الله تدرك أنّه في مقابل هذه المنزلة أجر عظيم للزوجة إن هي أطاعت زوجها وقامت على خدمته ورعاية شأنه، فصيام النّفل عمل صالح عظيم لكن حين تتركه طاعة لزوجها ففطرها حينئذ أعظم درجة وأرضى لله عزّ وجلّ .

ولهذا ضربت الفتيات المسلمات من الرّعيل الأوّل أروع الأمثلة في القيام بحقّ الزّوج ورعايته.

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: تزوجني الزّبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح[1] وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء وأخرز غربه[2] وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز وكان يخبز

[1] الناضح : هو الجمل الّذي يسقى عليه الماء .

[2] خياطة بعضِ الجلود لصُنع الغَرْبِ، وهو الدَّلْو والإناءُ الكَبيرُ .

جارات لي من الأنصار وكنّ نسوة صدق، وكنت أنقل النّوى من أرض الزّبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي، وهي مني على ثلثي فرسخ، فجئت يوما والنوى على رأسي فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار فدعاني، ثم قال : ((إخ إخ)) ليحملني خلفه فاستحييت أن أسير مع الرّجال، وذكرت الزّبير وغيرته وكان أغير النّاس، فعرف رسول الله ﷺ أنّي قد استحييت فمضى، فجئت الزّبير فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النّوى ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملك النّوى كان أشدّ علي من ركوبك معه، قالت: حتى أرسل إلي أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة الفرس فكأنّما أعتقني .

وحين تعيش المسلمة هذا الشعور تحسّ بلون وطعم آخر للحياة؛ فترى أنّ ما تقوم به وتقاسيه من أعباء المنزل من خدمة وإعداد للطّعام ورعاية لشأن منزلها لا يذهب سُدى، وأنّه ليس قياما بدور الخادمة، بل هو عبادة لله تبارك وتعالى وسبيل لتحقيق رضاه، لذا فهي تحرص على استحضار النية في كل ما تقوم به وتعانيه.

وتدرك المسلمة العاقلة أنّ وجود بعض الرّجال الذين يسيئون استخدام هذا الحق؛ فيجعلون منه سبيلا للتّسلط على الزّوجة واستعبادها وهضم حقوقها لن يلغي الأصل، والشريعة لم تأت بهذه الأحكام لتكون تُكأة لأولئك الذين يسيئون استغلال هذه الحقوق، فيستقصون ما لهم ويضيعون ما عليهم.

وحيث أمر الشرع بطاعة الزوج وتوقيره وعظم حقوقه، فقد أعلى منزلة أولئك الذين يحسنون لأهلهم، بل إنّ النّبي ﷺ يجعل رعاية الأهل معيارا ومقياسا تُقاس به خيرية الرّجل؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((**أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخيارهم خيارهم لنسائهم**)) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : ((**خيركم خيرُكم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**)) .

وعلى المرأة المسلمة إن ابتليت بأمثال هؤلاء أن تصبر وتحتسب وستلقى الأجر بإذن الله يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون.

الولاء والبراء

إنّ التّدين الصّادق يفرض على المرء أن تظهر آثاره في جوانب حياته كلّها، والتّدين الذي لا يظهر أثره على مشاعر الإنسان تديّنٌ قاصر.

والمرء يملك مشاعر من الحبّ والكره، والسّخط والرّضا، والقبول والرّفض، وتتحكّم هذه المشاعر في قرارات كثيرة يتخذها في حياته، وأولئك الذين عرفوا حقيقة الدّين صارت مشاعرهم وحياتهم بأسرها محكومة به .

وقد جعل النّبي ﷺ ذلك شرطا لحصول لذّة الإيمان، فقال: ((**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**))، واليوم نرى على جنبات الطريق صرعى وهلكى من جراء جحيم العواطف التي عبثت بهم.

إنّ الهوى والعشق والغرام يفعل فعله بصاحبه حتى قد ينحر دينه قربانا لهواه، وهذا أحدهم يعبر عن سكره ومصرعه بقوله:

رهبان مدين والذين عهدتهم *** يبكون من حذر العذاب قعودا

لو يسمعون كما سمعت كلامها *** خروا (لعزّة)[1] ركّعا وسجودا .

إنّها القلوب التي خلت وأصابها الخواء حين حُرمت لذّة محبة الله ورسوله ﷺ بعد أن استبدلت بذلك الهوى والغرام.

أما فتيات الصّحابة –رضوان الله عليهن– فلهنّ مع ذلك شأن آخر.

---

[1] عزة: اسم محبوبته (الدويش) .

تقدُم أم أسماء بنت أبي بكر إلى ابنتها رضي الله عنها فترى أسماء أن بقاء أمّها على الشّرك قد يسقط حقّها في الصّلة؛ فترفض استقبالها حتى تستأذن رسول الله ﷺ وتستفتيه: عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمت علي أمّي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ ، فاستفتيتُ رسول الله ﷺ قلت: إنّ أمي قدمت وهي راغبة، أفأصلُ أمي؟ قال: ((**نعم، صلي أمّك**)) .

إنّ هذا السّؤال ليس صادرا من قلب قاس عاق، وليس نتاج استثقال البرّ والصّلة، لكنّه صادر من تلك المرأة الصّالحة رضي الله عنها التي ترى صلة الدّين فوق كلّ صلة ورابطته فوق كلّ رابطة.

إنّ هذه المواقف تجيب عن لغز محيّر طالما سيطر على فئات من فتيات المسلمين اليوم وهن يسألن عن قضية التّعلق والغلوّ فيه، ويبحثن عن الحلّ والعلاج.

وتبقى كثير من النّصائح والوصايا في هذا الميدان مجرد مسكّنات ومهدّئات، **أمّا العلاج الأساس والأهم فهو في تفريغ القلب من التّعلق بما سوى الله وامتلاؤه بمحبة الله والتّعلق به وحده**، حينها يصبح هذا الأمر هو الحاكم والقائد وما سوى ذلك تبع له.

واليوم ونحن نرى هذه المشكلة، ونسمع هذا السؤال يتكرّر، نفتّش ونبحث في الصّفحات اللّامعة في الّتاريخ عن شواهد على هذه المعاناة فلا نرى لها أثرا يذكر.

أفيظنّ بأنّ فتيات الرّعيل الأوّل كائن آخر فاقد للمشاعر والأحاسيس، ومتبلّد العاطفة؟ أم أنّه جيل استعلى على شهواته وانتصر عليها، وامتلأت حياته بمعالي الأمور فلم تجد هذه الخواطر الرّديئة في قلوبهن مكانا؟

الإنفاق في سبيل الله

إنّ المال الذي رزقه الله ابن آدم فضل منه تبارك وتعالى، فقد تفضّل عليه بالرّزق، ثمّ أمره بالإنفاق وأثابه على ذلك، فهو المتفضّل تبارك وتعالى أولا وآخرا.

وقد حثّ النّبي ﷺ النّساء على الإنفاق والبذل. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى فمرّ على النّساء فقال: ((**يا معشر النّساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار**)) ، فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: ((**تكثرن اللّعن وتكفرن العشير ...**)) .

وقد تكون المرأة لا تجد إلا القليل فتحتقره، فينهى ﷺ عن ذلك موجها الخطاب للنساء فقال : ((**يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة**)) .

إنّه مشهد ناطق بالبذل والجود، وأمارة تأسٍّ بالرّعيل الأوّل حين نرى صبيان المسلمين يحملون إلى جيرانهم هديّة من أمّهاتهم ولو كان شيئا يسيرا: طبقا من طعام، أو قليلا من فاكهة، فتفعل هذه الهدية أضعاف قيمتها من إشاعة روح الودّ والتّراحم والشّعور بالجسد الواحد، وفوق ذلك كلّه ثواب الله عزّ وجلّ .

وها هي عائشة رضي الله عنها تدرك هذا المعنى فلا تجد إلا تمرة واحدة فتتصدّق بها تقول رضي الله عنها : جاءتني امرأة ومعها ابنتان لها فسألتني فلم تجد عندي شيئا غير تمرة واحدة فأعطيتها إيّاها فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها شيئا ثمّ قامت فخرجت وابنتاها، فدخل علي النّبي ﷺ فحدثته حديثها فقال

النّبي ﷺ : ((**من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهنّ كنّ له سترا من النّار**)) .

وتتطلّع أسماء رضي الله عنها لتحصيل أجر الصّدقة وفضلها لكنّها لا تجد ما تتصدّق به إلّا شيئا من قوت بيتها، فتسأل رسول الله ﷺ عن ذلك، فعنها رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، ما لي مال إلّا ما أدخل علي الزّبير فأتصدّق؟ قال: ((**تصدّقي ولا توعي**[1] **فيوعى عليك**)) .

وتُحدّث رضي الله عنها عن نفسها فتقول: مرّ بي رسول الله ﷺ وأنا أحصي شيئا وأكيله قال: ((**يا أسماء، لا تحصي فيحصي الله عليك**)) قالت: فما أحصيت شيئا ـ بعد قول رسول الله ﷺ ـ خرج من عندي ولا دخل عليَّ، وما نفد عندي من رزق الله إلّا أخلفه الله عزّ وجلّ .

وامتازت عائشة رضي الله عنها بالبذل والجود والإنفاق، فعن عروة بن الزّبير قال: كان عبدالله بن الزّبير أحبّ البشر إلى عائشة بعد النّبي ﷺ وأبي بكر وكان أبرّ النّاس بها، وكانت لا تمسك شيئا مما جاءها من رزق الله إلّا تصّدقت، فقال ابن الزّبير: ينبغي أن يؤخذ على يديها، فقالت: أيؤخذ على يدي؟ عليَّ نذر إن كلمته، فاستشفع إليها برجال من قريش وبأخوال رسول الله ﷺ خاصّة فامتنعت، فقال له الزّهريون أخوال النّبي ﷺ منهم: عبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، والمسور ابن مخرمة: إذا استأذنا فاقتحم الحجاب ففعل، فأرسل إليها بعشر رقاب فأعتقتهم، ثمّ لم تزل تعتقهم حتّى بلغت أربعين، فقالت: وددت أنّي جعلت حين حلفت عملا أعمله فأفرغ منه .

ويقارن عبدالله بن الزّبير رضي الله عنهما بين جود عائشة وجود أسماء فيقول: **ما رأيت امرأة قطّ أجود من عائشة وأسماء**، وجودهما مختلف: أمّا عائشة

[1] معنى لا توعي: لا تجمعي في الوعاء وتبخلي بالنفقة فتجازي بمثل ذلك (الدويش) .

فكانت تجمع الشّيء إلى الشّيء، حتى إذا اجتمع عندها وضعته مواضعه، وأمّا أسماء فكانت لا تدّخر شيئا لغد .

وكانت أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها جوّادة واسعة الإنفاق، شهد لها بذلك أصدق الخلق ﷺ ولهذا كانت تسمّى رضي الله عنها : أم المساكين، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : ((**أسرعكنّ لحاقا بي أطولكنّ يدا** [1])) ، قالت: فكنّ يتطاولن أيتهنّ أطول يدا؟ قالت: فكانت أطولنا يدا زينب لأنّها كانت تعمل بيدها وتصدّق .

لقد كان ذاك المجتمع مجتمع بذل وصدقة وسخاء، وخاصّة في ميدان المرأة،

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ كان يخرج يوم الأضحى ويوم الفطر فيبدأ بالصّلاة، فإذا صلّى صلاته وسلّم قام فأقبل على النّاس وهم جلوس في مصلّاهم، فإن كان له حاجة ببعث ذكره للنّاس، أو كانت له حاجة بغير ذلك أمرهم بها، وكان يقول: ((**تصدقوا تصدقوا تصدقوا**)) **وكان أكثر من يتصدّق النّساء .**

وكانت المرأة حين تسمع التّرغيب في الّصدقة تفكّر في الإنفاق فلا ترى أقرب من خاتمها وزينتها فتقدّمها لله ورسوله؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ النّبي ﷺ صلّى يوم الفطر ركعتين لم يصلّ قبلها ولا بعدها ثمّ أتى النّساء ومعه بلال فأمرهنّ بالصّدقة فجعلن يلقين؛ تلقي المرأة خُرصها وسخابها [2] .

---

[1] أراد بطُول يدها كثرةَ إنفاقها وصَدقاتها .

[2] الخرص: َحلقَة القرط، والسَخاب: القَلادة .

الهدي والسلوك

يشمل الهدي والسّلوك جانبا مهمّا من جوانب الشّخصية، ولذا فقد عني السّلف بتحقيق هذا الأمر، حتى صار قرينا لمسائل العلم الأخرى وأبوابه.

قال ابن سيرين: ((**كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلّمون العلم**)) .

وقال الحسن: ((**إن كان الرّجل ليخرج في أدبٍ واحدِ السّنة والسّنتين**)) .

وأوصى حبيب الشّهيد وهو من الفقهاء ابنه فقال: ((**يا بني اصحب الفقهاء وتعلّم منهم وخذ من أدبهم؛ فإنّه أحب إلي من كثير من الحديث**)) .

ولم تكن هذه الحقيقة غائبة عن الجيل الأوّل كيف لا وهو جيل القمّة والسّمو، لذا فقد سطرت فتيات أصحاب النّبي ﷺ صفحات ناصعة في هذا الميدان، ومن صور رعايتهن للهدي والسلوك:

١ - التأسي به ﷺ :

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنّها قالت: ما رأيُت أحدا كان أشبه سمتا وهديا ودلًّا [1] - وقال الحسن حديثا وكلام، ولم يذكر الحسن السّمت والهدي والدلّ- برسول الله ﷺ من فاطمة رضي الله عنها كانت إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها وقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبّلته وأجلسته في مجلسها .

لقد كان من تمام تأسي فاطمة رضي الله عنها برسول ﷺ أن صارت أشبه النّاس بهديه، توصف بذلك وتذكر به.

[1] السَّمت: حسن الهيئة، والهدي: الطريقة والمذهب، والدَّلُّ: قريب من الهدي كأنه يريد به أشكال الحركة والمشي والتصرُّف ونحو ذلك من الشمائل .

إنّ التأسّي بالنّبي ﷺ عبادة عظيمة تفتح لصاحبها أبوابا من الخير والعمل الصّالح الذي لا يكلّفه عنتا أو مشقّة؛ إذ حملت لنا دواوين السّنة رصيدا من أخباره وأحواله وهديه ﷺ في أمور الحياة كلّها: في النّوم والاستيقاظ، والمشي والجلوس، ودخول المنزل والخروج منه ... إلخ أمور اليوم والليلة، وهي أمور لا بد للمسلم من فعلها، **فحين يسعى للتّعرف على سننه وأحواله ﷺ فيها يصبح في نومه واستيقاظه وطعامه وشرابه وسائر أحواله، بل حتى في قضاء حاجته، يصبح في ذلك كلّه في عبادة لله تبارك وتعالى،** وتأس بالنّبي ﷺ دون أن يحتمل مشقّة لا يحتملها غيره من النّاس.

والتّأسي به ﷺ يورث محبّته التي هي من أعظم أبواب الإيمان، بل من شروطه كما قال ﷺ : ((**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والنّاس أجمعين**)) .

فهنيئا لفاطمة رضي الله عنها هذه المنزلة والمكانة، **وحريّ بفتيات المسلمين اليوم أن يسرن على خطاها؛ فمن تشبّه بقوم فهو منهم، ومن أحبّ قوما حشر معهم.**

٢ – التقوى وخشية اللّه:

لا غرو أن نجد ذاك الجيل الذي ربّاه النّبي ﷺ جيل الخشية لله والتقوى.

قال القاسم: كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة رضي الله عنها فأسلم عليها، فغدوتُ يوما، فإذا هي قائمة تسبح وتقرأ: {**فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم**}(الطور:٢٧) وتدعو وتبكي وتردّدها، فقمت حتى مللتُ القيام، فذهبت إلى السّوق لحاجتي، ثمّ رجعت فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي!

وكانت أسماء رضي الله عنها تخشى شؤم الذّنب ووبال المعصية، فكانت

تصدّع، فتضع يدها على رأسها وتقول : ((**بذنبي وما يغفر الله أكثر**)) ، لقد تلقت هذا الأدب من قوله تعالى: {**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير**} [الشورى ٣٠] .

٣ – الورع [1]:

عن عائشة رضي الله عنهما في حديث الإفك: ((وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري، فقال: يا زينب ما علمت ما رأيت؟ فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري والله ما علمتُ عليها إلا خيرا قالت: وهي التي كانت تساميني فعصمها الله بالورع)) .

وتتطلّع أسماء رضي الله عنها إلى الصّدقة، لكنّها لا تملك إلّا أن تتصّدق مما يدخل عليها الزّبير فتتورّع رضي الله عنها عن ذلك- فتسأل رسول الله ﷺ ، فتقول: ما لي مالٌ إلا ما أدخل علي الزّبير فأتصدّق؟ قال: ((**تصدقي ولا توعي فيوعى عليك**)) .

وتروي لنا الورع والسؤال عن امرأة أخرى تدعوها الغيرة والطبيعة البشرية إلى فعل لكنها تخشى أن يكون مما يغضب الله، عن أسماء رضي الله عنها أنّ امرأة قالت: يا رسول الله، إنّ لي ضرّة، فهل علي جناح إن تشبّعت من زوجي غير الذي يعطيني[2]؟ فقال رسول الله ﷺ : ((**المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور**)) .

إنّ الورع حين يستقر في القلوب، وتتربّى عليه النّفوس يختصر خطوات كثيرة ربّما كافحنا في اجتيازها وقطعها، فهو الذي يحول دون أن يتسلّط الهوى على صاحبه فيتجاوز أمر الله وحدوده، وهو الذي يحول دون القفز على النّصوص الشرعيّة باسم المصلحة ومجاراة الواقع ... إلخ هذه الحجج.

---

[1] الورع: هو اجتناب الشبهات؛ خوفًا من الوقوع في المحرمات .

[2] ادَّعتْ أمامَ ضرَّتِها أنَّ زَوجَها يُعْطيها منَ الحُظْوة والمكانة أكثرَ منَ الواقعِ؛ لتَغيظَها .

وثمّة ظواهر تتجدّد اليوم في عالم المرأة في صور متسارعة لا تمثل إلا مظاهر للتحرّر المبطن، والتّجاوزات التي نراها في حجاب المرأة اليوم صورة بعد أخرى ليست إلا نموذجا من ذلك.

وحين نسعى لمواجهة هذه الصّور من التّجاوزات بتربية الإيمان والورع في النّفوس فهذا أجدى من السّعي لاستصدار فتوى في تحريم كلّ صورة تطرأ من هذه الصّور الشّاذة؛ إذ يحوّلُ أولئك الذين يرق دينهم هذه الفتوى إلى مجرد اجتهاد فقهي يقابله غيره، أو يدرجونها ضمن قائمة التّشديد في الدّين وتحريم مالم يحرمه الشّرع، أمّا النّفوس التي تربّت على الورع والتّقوى فهي تملك حسّا مرهفا يحول بينها وبين التّرخص الّصادر عن الهوى ومجاراة الواقع، دون أن تحتاج لفتوى تمنعها من ذلك.

والورع والإيمان يجعلان الامتثال صادرا عن اقتناع ومحبّة للحكم الشّرعي، وإدراك لمقاصد الشّرع، وشّتان بين سلوك صاحبه وسلوك من يشعر أنّه يُقاد بسياط الفتوى والمنع والتّحريم، ويشعر أنّها قيود يتمنّى التّخفف منها.

فليت الأخوات الدّاعيات، وليت المهتمين بقضايا المرأة ينطلقون من هذه النّقطة ويعنون بهذه القضية: غرس الإيمان والورع في النفوس.

٤ – التوبة:

لقد خلق الله تبارك وتعالى النّاس وهو أعلم بهم، لذا فقد جاء شرعه عزّ وجلّ متّسقا مع فطر النّاس وطبيعتهم، ومهما بلغ المرء من الصّلاح والتّقى والخوف منه وخشيته فلا بد أن يلابس الذّنبَ ويقع في المعصية، وقد قال ﷺ : ((**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**)) .

وحين حضرت أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه الوفاة قال: كنت كتمتُ عنكم شيئا سمعته من رسول الله، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**لولا أنّكم تذنبون لخلق الله خلقا يذنبون يغفر لهم**)) .

وقد قال أيضا ﷺ : ((**كلّ ابن آدم خطاء وخير الخطائين التّوابون**)) .

لذا فقد كان لفتيات الصحابة -رضوان الله عليهن- مبادرة للتوبة والرّجوع إلى الله تبارك وتعالى، كما تحكي عائشة عن زينب ـ رضي الله عنهما ـ قالت عائشة: ((وهي التي كانت تساميني منهنّ في المنزلة عند رسول الله ﷺ ، ولم أر امرأة قط خيرا في الدّين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرّحم وأعظم صدقة وأشدّ ابتذالا لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقرب به إلى الله تعالى، ما عدا سورة من حدّة كانت فيها **تُسرع منها الفيئة** ...)) .

قد يغلب خلق ما على المرء فيوقعه في المحظور أو فيما لا ينبغي فعله، والبشر ليس مطلوب منهم العصمة من الخطأ، إنّما الحذر منه والبعد عن أسبابه، وحين تغلبهم نفوسهم فيواقعونه فعليهم سرعة الفيئة والرّجوع إلى الله تبارك وتعالى.

٥- حفظ السر:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النّبي ﷺ فقال النّبي ﷺ : ((**مرحبا بابنتي**)) ، ثمّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثمّ أسرّ إليها حديثا فبكت، فقلت لها: لم تبكين؟ ثمّ أسرّ إليها حديثا فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن! فسألتها عما قال فقالت: ما كنت لأفشي سرّ رسول الله ﷺ حتى قبض النّبي ﷺ ، فسألتها فقالت: أسرّ إلي: ((**إن جبريل كان يعارضني القرآن كلّ سنة مرة، وإنّه عارضني العام مرّتين ولا أراه إلا**

حضر أجلي، وإنّك أوّل أهل بيتي لحاقا بي)) فبكيتُ، فقال: ((**أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنّة أو نساء المؤمنين؟))** فضحكت لذلك .

لقد كان من حقّ عائشة رضي الله عنها السّعي لمعرفة ما أسرّه لفاطمة صاحب الرّسالة، أمّا فاطمة رضي الله عنها فكانت ترى أنّه لا يسوغ لها أن تفشي سرّه حال حياته ﷺ .

إنّ الفضول قد يدفع بالمرء أحيانا إلى التّطلع لمعرفة ما لا يعنيه، وحبّ الحديث والتّشبع بما لم يعط قد يدفعه إلى الحديث عما تطلّع إليه وعلمه، وهو مسلك يأباه الأوفياء، وذلك ليس دعوة لأن تعيش الفتاة في صمت مطبق يحول بينها وبين السّؤال والتّعرف على أحوال النّاس، ويمنعها من الحديث والإخبار، لكن كم هي الأخبار وأسرار البيوت التي كان إفشاء المرأة لها سببا في فساد عريض لا تستطيع إصلاحه؟ وما أحوج الفتاة إلى أن تضع نصب عينيها دوما وصية النّبي ﷺ : ((**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**)) .

وثمّة مجالات للحديث والحوار والنّقاش الجادّ المثمر تضيق عنها المجالس مهما طالت يمكن أن تكون بديلا للثرثرة والحديث اللامسؤول عن أسرار النّاس.

أمّا الفتاة الصّالحة المتدينة فيتأكّد الأمر في حقّها؛ إذ هي قدوة لمن حولها والجميع يرقب تصرفها.

المناقب

إنّ من يتأمّل صفحات السّنة والسيرة النّبوية يرى أنّها قد ملئت بنماذج من فضائل ومناقب الفتيات المسلمات، ومن ذلك:

١ - تمريض رقية بمنزلة شهود بدر:

لقد أعلى الله منزلة أهل بدر رضي الله عنهم ورفع درجتهم، فهذا الخليفة عثمان رضي الله عنه يقول عن تخلّفه في بدر: ((وأمّا قوله إني تخلّفت يوم بدر فإنّي كنت أمرض رقيّة بنت رسول الله ﷺ حين ماتت وقد ضرب لي رسول الله ﷺ بسهمي ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه فقد شهد)) .

لقد كانت غزوة بدر أوّل مواجهة بين النّبي ﷺ وقريش، وسمّاها تبارك وتعالى **يوم الفرقان**، وسارت بفضائلها الرّكبان، وقال ﷺ عمن شهدها: ((**لعلّ الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنّة أو فقد غفرت لكم**)) .

عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه -وكان أبوه من أهل بدر- قال: جاء جبريل إلى النّبي ﷺ فقال: ما تعدّون أهل بدر فيكم؟ قال: ((**من أفضل المسلمين**)) أو كلمة نحوها، قال وكذلك من شهد بدرا من الملائكة .

فها هي منزلة بدر وأهلها، فإذا ضرب لمن مرّض رقيّة رضي الله عنها بسهم من شهد بدرا وبدر بهذه المنزلة، فهذا شاهد على فضل هذه الصحابيّة وعلوّ منزلتها رضوان الله عليها، كيف لا وهي ابنة النّبي ﷺ ؟

٢ - ذكره ﷺ لحفصة:

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يحدّث أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين تأيّمت[1] حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السّهمي- وكان من أصحاب رسول الله ﷺ قد شهد بدرا وتوفي بالمدينة- قال عمر: فلقيت عثمان بن عفان فعرضتُ عليه حفصة فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، قال: سأنظر في أمري، فلبثت ليالي، فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا، قال عمر: فلقيت أبا بكر فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، فصمت أبوبكر فلم يرجع إلي شيئا فكنت عليه أوجدَ[2] منّي على عثمان، فلبثت ليالي ثمّ خطبها رسول الله ﷺ ، فأنكحتها إيّاه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلّك وجدت عليَّ حين عرضتَ علي حفصة فلم أرجع إليك، قلت: نعم، قال: فإنّه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضتَ إلّا أنّي قد علمت أنّ رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سرّ رسول الله ﷺ ولو تركها لقبلتُها .

٣- تزويج الله لزينب بنت جحش:

عن أنس رضي الله عنه قال جاء زيد بن حارثة رضي الله عنه يشكو فجعل النّبي ﷺ يقول : ((**اتق الله، وأمسك عليك زوجك**)) قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتما شيئا لكتم هذه، قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النّبي ﷺ تقول: زوجكنّ أهاليكن وزوجنّي الله تعالى من فوق سبع سماوات، وعن ثابت: {**وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى النّاس**} [الأحزاب ٣٧] نزلت في شأن زينب وزيد بن حارثة .

إنّها منزلة عالية تدركها زينب رضي الله عنها تقصر دونها منازل النّاس في هذه الدّار، فالأمر لم يقف عند مجرّد كونها زوجة للنّبي ﷺ ، وهذا وحده شرف

[1] صارت بلا زوج .

[2] أشدَّ وأكثَر غضبًا وألَمًا؛ وذلك لمَا كان بينَهما من أكيد المودَّة .

ومنزلة لا تدانيها منزلة، بل يأتي هذا التّزويج بنصّ من السّماء، ولم يكن هذا الوحي رؤيا منام أو وحيا غير متلوٍ، بل قرآنا يقرأه المسلمون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قرآنا يتعبّدون الله بتلاوته وفيه أنّ الله زوج هذه المرأة الصّالحة لنبيه ﷺ .

٤- من بركة النّساء:

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: لما قسم رسول الله ﷺ سبايا[1] بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السّهم لثابت بن قيس بن شمّاس أو لابن عمٍّ له وكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوةً ملّاحَة[2] لا يراها أحد إلّا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينُه في كتابتها، قالت: فوالله ما هو إلّا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها وعرفت أنّه سيرى منها ما رأيتُ، فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، فوقعت في السّهم لثابت بن قيس بن الشّماس أو لابن عمّ له فكاتبته على نفسي فجئتك أستعينك على كتابتي، قال : ((**فهل لك في خير من ذلك؟**)) قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: ((**أقضي كتابتك وأتزوّجك**)) قالت: نعم يا رسول الله، قال: ((**قد فعلت**)) قالت: وخرج الخبر إلى النّاس أنّ رسول الله ﷺ تزوّج جويرية بنت الحارث، فقال النّاس: أصهار رسول الله ﷺ ، فأرسلوا ما بأيديهم قالت: فلقد أعتق بتزويجه إيّاها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها .

وربّما صحّت الأجسام بالعلل، **وقد يكره المرء أمرا يكون خيرا له**، لذا فقد كانت هذه الوقعة من أعظم خير نال هؤلاء، فأيّ كرم وشرف أسمى من أن

---

[1] نساء العدو، وأطفالُه الذين يؤخذون في الحروب .

[2] فائقةَ الجمالِ، ذاتَ منظرٍ حسنٍ .

يكونوا أصهار رسول الله ﷺ ، وأولئك الذين سُبُوا فكّ أسرهم وعتقوا ببركة هذه المرأة الصالحة، لقد أطلقت سراح مائة من قومها وأعلت شأنهم وذكرهم، ولم يكن هذا بشجاعة أو قوّة، بل بفضيلة ربّانية أبقت ذكرهم خالدا إلى قيام السّاعة.

٥ - من مناقب أم المؤمنين عائشة:

لقد ظفرت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها بحبّ صاحب الرّسالة ﷺ لها، فهنيئا لها هذه المنزلة.

عن عائشة زوج النّبي ﷺ قالت: أرسل أزواج النّبي ﷺ فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطي فأذن لها، فقالت: يا رسول الله، إنّ أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة وأنا ساكتة، قالت: فقال لها رسول الله ﷺ : ((**أي بنية ألست تحبّين ما أحبّ؟**)) فقالت: بلى، قال: ((**فأحبّي هذه**)) قالت: فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله ﷺ فرجعت إلى أزواج النّبي ﷺ فأخبرتهن بالذي قالت وبالذي قال لها رسول الله ﷺ فقلن لها: ما نراك أغنيت عنّا من شيء فارجعي إلى رسول الله ﷺ فقولي له: إنّ أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة، فقالت فاطمة: والله لا أكلّمه فيها أبدا، قالت عائشة: فأرسل أزواج النّبي ﷺ زينب بنت جحش زوج النّبي ﷺ وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ ، ولم أر امرأة قط خيرا في الدّين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشدّ ابتذالا لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقّرب به إلى الله تعالى، ما عدا سَوْرَة من حدّة كانت فيها، تسرع منها الفيئة، قالت: فاستأذنت على رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ مع عائشة في مرطها على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو بها، فأذن لها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن

أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، قالت: ثمّ وقعت بي فاستطالت عليّ وأنا أرقب رسول الله ﷺ وأرقب طرفه هل يأذن لي فيها، قالت: فلم تبرح زينب حتى عرفتُ أنّ رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر، قالت: فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا لَمْ أَنْشَبْهَا حتَّى أَنْحَيْتُ عَلَيْهَا ، قالت: فقال ـ رسول الله ﷺ وتبسّم: ((**إنّها ابنة أبي بكر**)) .

وقد بلغ من منزلة عائشة رضي الله عنها أن يقرئها جبريل السلام؛ فعنها رضي الله عنها أنّ النّبي ﷺ قال لها: ((**يا عائشة، هذا جبريل يقرأ عليك السّلام**)) فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى – تريد النّبي ﷺ .

ماذا تعني هذه الفضائل؟

قد تقول القارئة وهي ترى هذه الفضائل وتدرك منزلتها: إنّها منازل عالية ورتبٌ سامقة لكن ما شأن إيرادها هنا؟ وأنا أعلم علم اليقين أنّها درجات السّابقين، وأنّها لمن اختارهّن تبارك وتعالى، وأنهّا فضائل جاءت بها نصوص خاصة لهنّ؟

إنّ هذه الفضائل تدلّ على ما بلغ أصحابها من الإيمان والتّقوى والصّلاح، فالله ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب؛ فالتّفاضل والتّسابق إنّما هو بالتّقوى والإيمان.

وهي تدلّ على أنّ الإيمان يترك أثره العظيم في النّفوس، وأنّه الدّواء النّاجع للأدواء التي تعاني منها مجتمعات المسلمين اليوم.

فها هي هذه المنازل والرّتب قد حازها فتياتٌ في ريعان الشّباب حين انتصر الإيمان في قلوبهن على الصبوة والهوى.

وهي تطرح هذا النّموذج أمام فتيات المسلمين اليوم، لا ليصلن إلى ما وصل إليه أولئك، فهي منزلة اختصّ الله بها من اصطفاهم من عباده، لكن ليسرن على الطّريق، وليسلكن الخُطى، وهذه الفضائل تقول للجيل الصاعد من فتياتنا بلسان الحال: **(ها هو الطريق، وهاهنا العظمة، فمن كان متأسّيا فليتأسَّ بهؤلاء، ومن كان معجبا فليعجب بهذا الصنف)**.

فما بال طائفة من فتيات المسلمين يسلكن غير ذات السبيل، ويتّخذن قدوتهنّ من نساء سواقط؟! إنّما أبرزهنّ وأعلى شأنهّن الفنّ الهابط، أو راجت سوقهنّ في أسواق عرض الأزياء والمتاجرة بالإغراء.

وهي أيضا تفتح آفاقا واسعة أمام المسلمات ليكون الحبّ في الله لا يقف عند الحقبة الحاضرة بل يتخطّى هذه الحواجز والحجب، ويدخل هذا الجيل ضمن هؤلاء، حينها تقتصد الفتاة المسلمة في منح إعجابها وحبّها لأقرانها، ويعلو أفقها، ويمتد نظرها إلى فضاء أرحب.

الخاتمة

هذه أختي المسلمة مواقف فتيات في ريعان الشّباب، اتبعن طريق الهدى وسلكن درب الرّشاد، فقادهنّ إلى أن فتحت لهن صفحات رائعة في سجلّ التاريخ.

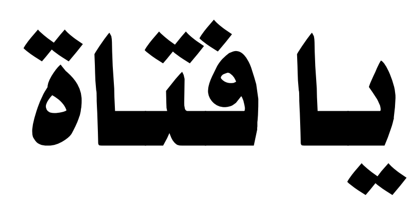
إنّها مواقف ناطقة بالشّهادة على أنّ هذا الدّين يترك أثره العظيم في النّفوس، وهي مواقف ناطقة بأنّ المرأة حين تسلك سبيل الصلاح والتّقوى يعلو شأنها وترتفع قيمتها.

فما أحوجنا اليوم إلى أن نُعنَى بدراسة أخبار ذاك الجيل الأغر والفرط الصّالح، وأن نسعى لتطبيق ما تعلّمناه من عبر، والاقتداء بما رأيناه من مواقف صالحة، ولئن عجزنا أن نصل إلى ما وصلوا إليه، فلا أقلّ من محبّتهم والتّعلق بأخبارهم وسيرهم، لعلنا أن نحظى بوعد النّبي ﷺ بأن نحشر معهم، كما أخبر ﷺ حين سئل عن الرّجل يحبّ القوم ولمّا يلحق بهم فقال : ((**المرء مع من أحب**))

وما أحوج الأمّهات والمعلمات والمربّيات إلى العناية بتعليم بناتهنّ سير فتيات الصّحابة وأخبارهنّ، وتقديمهنّ بديلا للنّماذج الّسيئة التي تتعلق بها فتيات المسلمين اليوم من القدوات الهابطة.

وما أحوج المتصدّرين لمنابر التّوجيه والإعلام إلى ذلك؛ علّهم أن يقدموا بديلا لهذا الغثاء الذي يملأ أسماع النّاس في وسائل الإعلام اليوم.

اللهّم إنّي أحببت صحابة نبيك ﷺ وسعيت في بيان سيرهم لدى النّاس، اللّهم فاحشرني يوم القيامة مع من أحببت، وصلّى الله وسلم على نبينا محمد ..



[أصل هذه الرسالة محاضرة صوتية]

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله.

أما بعد: فعنوان هذا الدّرس: (يا فتاة)، وهو حديث خاصّ، من نوع خاصّ، وله لغة خاصّة، إنّه حديث نخاطب فيه الفتاة، نخاطب فيه الأمّ المسلمة أياًّ كان موقعها ومكانها، وهي وإن كانت فتاة يافعة الآن فهي في المستقبل هي الأم، وهي البانية لهذا المجتمع، وهي أساس المجتمع، فما أن ترى رجلاً إلا ووراءه أم أو زوجة، وراءه أم رعته وربّته وقادته إلى ما صار إليه، أو وراءه زوجة إما أن تكون معينا له ومناصرا له ومؤيدة، أو أن تكون خلاف ذلك وتكون عقبة في طريقه.

لماذا الحديث إلى الفتاة؟

وهناك سؤال يفرض نفسه: لماذا الحديث إلى الفتاة؟ ولماذا نخصّها بالخطاب؟

إنّني أعرف أنّ الإجابة موجودة لدى أختنا سلفا، ولكنّي أقول:

أولا : إننا نخاطب الفتاة لأنّها أمّنا، وهل خرج أحدنا للدنيا دون أم، وهل تنفس الصعداء قبل أن يعيش في بطن أمّه أشهراً وبين أحضانها سُنيات من عمره وهي ترعاه وتعاهده، وحين يشب طوقه ويصلب عوده يعود به الحنين فطرة فُطر عليها، يعود به الحنين ليلتصق بشريكة حياته، فالمرأة والرجل لصيقان، يبدأ حياته وتاريخه من خلالها، ويودّع الدّنيا كذلك .

ثانيا: نتحدث إلى الفتاة لأنّ الكثير يتحدثون عنها، ويرفعون شعار نصرة قضيتها، فالأديب قد سطّر شعره ونثره، والكاتب قد وظّف قلمه، والصحفي قد استنفر قواه، فالجميع أجلبوا بخيلهم ورجلهم ما بين مفكّر وعامل، ما بين متحدّث وكاتب، الجميع نزلوا بثقلهم ليتحدثوا عنكِ يا فتاة، ليتحدثوا عن قضية المرأة، وحقوق المرأة، ويعلو ضجيج وصخب الأصوات المأجورة ليذيب الصوت الصادق والنّاصح الذي لم تعد تسمعه الفتاة إلا خافتاً، لقد سمعت يا فتاة ذاك الصوت النشاز الذي كان يفخر بقضيتكِ وبكرامتكِ وبشرع الله حين يقول: حينما كنا صغاراً في الكتاتيب علمونا أن وجه المرأة عورة علمونا أن صوت المرأة عورة حقنونا بسخيف القول. علمونا أن صوت المرأة من خلف ثقب الباب عورة.

وسمعت أيضاً هذا الشاعر وهو يتهكم بأعلى ما تملكين وما تعتزين به بالحجاب:

مزقيه ذاك البرقع .. لا تخافي مزّقيه ..

مزّقيه لا تبالي بأمر الدين فيه .. مزقيه ..

واسأليه واسألي الآيات .. مزقيه ..

أي عار أنتِ فيه!! ..

وسمعت الآخر وهو ابن بلدك يقول ساخراً:

محجبة تريك سفور جهل *** ومسفرة تريك حجاب علم

ومغضيةٌ تنوءُ من الخطايا *** وشاخصة إليك بغير جرم

أرى كلتيهما فيذوب قلبي *** لآفات الهوى ويفور عزمي

لقد يحيا العفاف بلا حجاب ولا يحيا بلا خلق وعزم

إنّها أصوات لا أشكّ أنّكِ تسمعينها، وتقرأينها هنا وهناك، ويعلو ضجيجها، ويرتفع صخبها، وكلّها تدعو إلى دعوة واحدة، وكلّها تتحدّث عن قضيّة واحدة هي قضيّتكِ.

لقد زعموا أنّكِ مظلومة، لقد زعموا أنّكِ مهانة، زعموا أنّهم يتحدّثون باسمكِ، ونقلوا وكالةً دون موافقة صاحبة الشّأن، ودون موافقة الوكيل، فصار الجميع يتحدّث ويبدئ ويعيد في قضيّة المرأة.

يا فتاة .. يعلو ضجيج هذه الأصوات المأجورة ليذيب الصّوت الصّادق والنّاصح، الذي لم تعد تسمعه الفتاة إلّا خافتاً، ألا يحّق بعد ذلك للنّاصحين أن يرفعوا عقيرتهم، وينادوا بصوت مسموع رافعين الرّاية ليقولوا: ها هنا الطّريق يا فتاة، وإياكِ وبُنيّات الطّريق وأزقّة الغفلة.

ثالثا: نتحدّث عن الفتاة لأنّ النّبي ﷺ كان يوليها العناية والاهتمام اللائق

بمقامها، ففي كلّ عيد يخطب فيه كان يتحدّث مع الرّجال ثمّ ينصرف إلى النّساء فيحدّثهن ويعظهنّ، وتستغل النّسوة هذا الأمر، وتتطلّع إلى المزيد، فتبعث إحداهنّ لتقول له ﷺ: ((**ذهب الرّجال بحديثك فاجعل لنا منك يوماً**))، فيواعدهنّ ﷺ ويلقاهنّ يوماً يخصّهن بحديث خاصّ لا شأن للرّجال به.

وحين نتصفّح دواوين السّنة، ونقرأ ما سُطّر فيها نرى الكثير من النّصوص التي توصي بحقّكِ ورعايتكِ والعناية بك، ولقد كان ﷺ في مجمع عظيم في حجّة الوداع يجعل قضيّة المرأة من أهم القضايا، فيقول ﷺ: ((**الله الله في النّساء، اتقوا الله في النّساء**))، ويجعل ﷺ المرأة معياراً تقاس من خلاله خيرية الرّجل، فيقول ﷺ: ((**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**))، بل إنّ الأمر يتجاوز مجرّد هذا التّوجيه لنرى هديه ﷺ العملي، ونرى تلك المكانة التي يعليها المرأة فيحبس ﷺ جيشه ويؤخّره، لأنّ عقداً لزوجه عائشة رضي الله عنها قد انقطع، فيأتي أبو بكر الصّديق رضي الله عنه إلى عائشة فينتهرُها ويقول: (**حبستِ رسول الله ﷺ والنّاس وليسوا على ماء، وليس معهم ماء**)، ثمّ حين أقاموا الجمل وجدوا العقد تحته وقد فقدوا الماء، ونزلت آية التّيمم فقال أسيد بن حضير رضي الله عنه: (**ما هي بأوّل بركتكم يا آل أبي بكر**).

إنّ آية التّيمم ـ يا فتاة ـ والتي بعد ذلك أصبحت باباً من أبواب الفقه يتعلّمه الّصغير والكبير، المرأة والرّجل، يتعلّمه الجميع؛ كان بركة من بركة تلك المرأة الصّالحة، أليس في هذا علوا لشأن المرأة ورفعة لمكانتها؟

ويرتفع شأن المرأة عند النّبي ﷺ منزلة أعظم من ذلك كلّه، فتأتي أم هانئ رضي الله عنها إلى النّبي ﷺ فتقول له: (زعم ابن أمي أنّه قاتلٌ رجلاً قد أجرتُه)، فيقول ﷺ : ((**قد أجرنا من أجرتِ**[1] **يا أم هانئ**)).

---

[1] أَعطَيْنا الأمانَ لِمَنْ أَعْطَيْتِه أمانَكِ .

نعم يا فتاة .. هكذا كان ﷺ يرفع شأن المرأة، إنّ كلمةَ هذه المرأة أصبحت نافذةً على المسلمين كلّهم جميعاً، فلا يجوز لهم أن يخفروا[1] جِوار هذه المرأة أو ذمّتها، ويصدِّق النّبي ﷺ على هذا الحكم وعلى هذا الأمان الذي تمنحه هذه المرأة، أفبعد ذلك كلّه يحق لامرئ أن يهمل شأن المرأة ومكانتها؟

ورابعا: نتحدّث عن الفتاة لأنّها أم المصلحين والّدعاة، أسمعتِ يا فتاة عن المصلحين والمجدّدين؟ أقرأتِ سير المجاهدين الصّادقين؟ وهل خفيت عليكِ صفحات العلماء العاملين؟ تأمّلي في التّاريخ وارفعي الرّأس وانظري إلى سماء أمّتكِ لتَرَيْ هناك نجوماً تلوح في الأفق، ساهمت في صياغة تاريخ الأمّة وصناعة مجدها، وخطّت صفحاته البيضاء، فليس يغيب عن ناظريكِ أبداً اسم **عمر بن عبد العزيز والشافعي والإمام أحمد وابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهم،** ممن حاز قصب التّجديد وأخذ منه بنصيب وافر، ولن تنسي سير **نور الدّين الشّهيد أو صلاح الدين أو الغزنوي** أو غيرهم ممن حمل روحه على كفّه وسار في ميدان الوغى وشعاره:

فَيا رَبِّ إِن حانَت وَفاتي فَلا تَكُن *** عَلى شَرجَعٍ[2] يُعلى بِدُكنِ المَطارِفِ

وَلَكِن أَحِنّ يَومي شَهيداً وَعُقبَةً *** يُصابونَ في فَجٍّ مِنَ الأَرضِ خائِفِ

يتغنّى بها صادقاً من قلبه، وقد صفا قلبه لإخوانه أهل الإسلام، وغلا مرجله على أهل الأوثان، وها هي صفحات سيرة **أبي حنيفة ومالك وأحمد والعزّ بن عبد السّلام،** وغيرهم كثير ممن أراد الله بهم خيراً، ففقههم في الدّين فساروا ينشرون ميراث محمد ﷺ، وقبل أولئك كلّهم صحابة رسول الله ﷺ .

يا فتاة.. كم تهزّكِ هذه الأسماء هزاًّ، وكم تطرب أذنكِ ويتشنّف سمعكِ حين

---

[1] ينقضوا .

[2] السرير يحمل عليه الميّت .

تسمعين بها، لكن لا تنسَيْ أنّ أولئك وغيرهم كان لكلّ منهم أمّ برّة صادقة طالما دعت الله عزّ وجلّ أن يجعل ابنها قرّة عين لها، وكان له شريكة حياته يسكن إليها ويطمئن إليها، وهي تقول له كلّ صباح: والله لا يخزيك الله أبداً، وتحتمل اللأْواء[1] معه فتصبر وتُصابر وتكون خير زاد له ومعين، فإذا كنتِ أنتِ أمّ الدّعاة وأمّ المصلحين، وأنتِ بعد ذلك الزّوجة الوفيّة لهم، فيحقّ لنا يا فتاة أن نخاطبكِ ونخصّكِ بالحديث.

[1] الشّدة والمشقة .

من أخاطب؟

يا فتاة.. من أخاطب في هذه الرسالة؟ ولمن أتحدّث؟

إنّي أخاطب الفتاة الحصان الرّزان، الطّاهرة العفيفة، فتاةٌ ولدت من أبوين فاضلين، وعاشت في بيت محافظ، تستيقظ وتنام، وتغدو وتروح، وهي تسمع الدّعاء لها بالسّتر والعافية، ولكنّها مع فتن العصر وصوارفه، ومع الغربة الحالكة بدأت تنظر ذات اليمين وذات الشّمال، وتلتفت إلى الوراء فترفع سماعة الهاتف لتخاطب شاباًّ لم تعرفه إلّا من كلامه، وتسهر أحياناً على **فِلْمٍ** ينسخ من ذاكرتها كلّ صور البراءة والعفّة لتتراءى أمام ناظريها مظاهر السّفور والعلاقة المحرّمة، فتعيش في دوّامة الصّراع، فتسمع تارة هذا الصّوت النّشاز الذي يدعوها إلى الارتكاس في الحمأة، والتّخلي عن كلّ معاني الفضيلة والعفّة، وتسمع أحياناً أخرى الصّوت الصّادق يهزُّها من داخلها هزاً عنيفاً يقول لها: رويدكِ فهو طريق الغواية وبوابة الهلاك، وتتصارع هذه الأصوات أمام سمعها، وتتموّج هذه الأفكار في خاطرها، ولكن لمن الغلبة والنهاية؟

قد تكون الغلبة للصّوت النّاصح، والصّوت الصّادق، وقد تكون الأخرى فتزلّ بها القدم، وتهوي تحت ثقل داعي الشّهوة والهوى، إنّها تؤمن بالله واليوم الآخر حقّ الإيمان، وتعرف الجنّة والنّار، وتؤمن بالحلال والحرام، لكنّ الصّراع مع الشّهوة قد رجح لغير كفتها، ومع ذلك كلّه فقد رُزقت أباً غافلاً، قد شُغل بتجارته وعلاقاته مع أصدقائه وزملائه، وأماً بعيدة كلّ البعد عنها، لا يعنيها شأنها، ولا تشغلها قضيّتها، ولم تعتد أن تتلقّى منهم الابتسامة الصّادقة، والكلمة الوادّة، ولم تر منهم القلب الحنون، ولم تر منهم من يفتح ذراعيه لها، وحينئذ

وجدت بُغيتها وضالّتها في صاحبتها؛ صاحبة السّوء التي تلْقاها في المدرسة، وربّما كانت الضّالة في شابّ تائه غاو ضالٍّ يغويها بمعسول الكلام.

يا فتاة.. إن كنتِ كذلك فما أجدركِ أن نخاطبكِ، وما أجدركِ أن تقدّري موقفي، فأصغي لصوتي وحكّمي عقلكِ، فإن سمعتِ خيراً فحيهلا، وإن كان غير ذلك فأنتِ وما تريدين .

أمّا إن كنتِ من أهل الصلاح والاستقامة فاسمعي ما أقول، وكوني رسول خير وترجمان صدق لمن وراءكِ.

إنّني ـ يا فتاة ـ حين أتحدّث عن هذه الظواهر فإنّي لستُ أخاطب كّل فتاة تستمع لحديثي، سواء كانت حاضرة معي هذا المجلس، أو كانت تستمع من خلال جهاز التّسجيل، إنّي لا أخاطب كّل فتاة على أنّها على هذه الحال وهذه الصّورة، فإن كانت كذلك فعلاً فإنّ الخطاب يعنيها بالدّرجة الأولى، وإن كانت غير ذلك فلعلّها أن تكون رسولة خير، ولعلها أن تساهم معنا في إبلاغ هذا الصّوت، والذي أصبح وللأسف صوتاً نشازاً، وقد اختفى تحت ركام الأصوات الهائلة التي تدعو الفتاة إلى الغواية، التي تدعو الفتاة إلى الضّلال والانحراف، والتي صارت تتاجر بقضية المرأة وحياتها وعفتها، عفواً .. بل صارت تتاجر بحياء الأمّة كلّها وعفتها وشباب الأّمة.

أقول: لقد اختفت تلك الأصوات النّاصحة الصّادقة، لقد خفت صوتها وصارت حبيسة هذا الرّكام من المجلات الوافدة، والمسلسلات السّاقطة، والأصوات التي تعلو هنا وهناك، تدعو الفتاة والشّباب جميعاً إلى هذا الطريق، وتقول لهم بلسان الحال أو بلسان المقال: **هيت لكم**.

يا فتاة.. اعتدت أن تسمعي الكثير من خلال الخطبة والمحاضرة والفصل الدّراسي، اعتدت أن تسمعي الوعظ والترغيب والترهيب، وهو مسلك مطلوب

ومنهج سليم، كيف لا وهو منهج النّبي ﷺ ومنهج القرآن الكريم، لكنّي هنا سأخاطبكِ بلغة أخرى، بلغة العقل ومنطق الحوار الهادئ لا رغبة عن الوعظ والترغيب والترهيب، ولا تفضيلاً لهذه اللّغة، ولكن كان من هدي النّبي ﷺ أن ينوّع أسلوبه وخطابه، بل قبل ذلك كلّه كان هذا من هدي ومنهج القرآن الكريم في خطابه للأمة.

يا فتاة.. إنّني حين أتحدّث عن قضية الفتاة فلست أتحدث من فراغ، ولا أبني قصوراً في الرّمال، أتحدّث عن واقع رأيته ولامسته، وحدّثني عنه الثّقات، فقد قرأت بعيني تلك الرّسالة التي سطّرتها فتاة لصديق لم يستقبلها بالأحضان واعتذر عن مبادلة القبلات، **فعاشت جحيماً لا يُطاق لتكدّر خاطر من كان لا يزول عنها الهمّ إلا بسماع صوته**، نعم قرأت تلك الرّسالة التي سطّرتها أناملها لصديق السّوء.

والرّسالة الأخرى، والتي كانت من شابّ تائه لم يدرك الأمانة ولا مسئولية العمل فيأخذ ورقة رسميّة ويطبع عليها رسالة غرام بالآلة الكاتبة ليرسلها إلى صديقته.

وسمعت الرّواية بسند متّصل رجاله ثقات عن تلك المكالمة والتي كانت تفيض عاطفة وقد علا نشيج الفتاة، وارتفع بكاؤها وهي تسمع التّهديد بالقطيعة واختيار البديل، فصاحبها يعرف عشرين فتاة غيرها، وسيختار أوفاهنّ له وما أبعده عن الوفاء!

إنّها صور كثيرة يا فتاة، لا أظّن أنّي مهما بلغت من الإحاطة وحفظت من النماذج، لا أظنّ أنّي سأدرك ما تدركين، وأحيط بما تحيطين، فأنتِ تعيشين هذا العالم، ولن أفيض بعد ذلك في كشف الأسرار والحديث عمّا وراء ذلك، لكنّي أردت أن أقول لكِ: **إنّي لا أتحدّث من فراغ**.

معذرة على المصارحة:

يا فتاة.. ها أنا أتحدّث عن قضايا ربما كانت فترة من الزّمن في طيٍّ الخفاء، وتحت ستار الكتمان، لكنّهما خياران لا ثالث لهما، أن نسدل السّتار على النّار وهي تدبّ وتشتعل، أو أن نقول الحقيقة وهي مُرّة إلّا أنّها الخطوة الأولى للإصلاح.

يا فتاة.. إنّ مبدأ المبالغة واتهام النّاس أنّ عهودهم قد مرجت، وأن خيريّتهم قد ولّت، إنّ هذا المبدأ مبدأ مرفوض، ولكن أيضاً في المقابل مع هذا الواقع لا يزال هناك في الزّوايا خبايا، لا يزال في النّاس بقايا من خير، وإنّ الحديث عن الأخطاء ينبغي أن لا ينسينا هذا الواقع، وإنّ الحديث حين يكون حديثاً ناصحاً ينبغي أن لا يكون حديثاً عن خطأ فلان أو فلانة، فإنّ هذا خرق لسياج العفّة في المجتمع، وإشاعة للفاحشة، ولكن مع ذلك كلّه أيضاً فالتغافل والتعامي وإسدال السّتار على هذه الحقائق لا أظنّ أنّه يخدم إلّا الأعداء، ولا أظنّ أنّه يهيئ إلّا لذاك الجوّ الذي بعد ذلك يتّسع فيه الخرق على الرّاقع، ويهّول الأمر فيه على النّاصح.

يا فتاة.. فلنكن صرحاء صراحة منضبطة بضوابط الشّرع، وواضحين وضوحاً محاطاً بسياج الحياء والعفّة لتكون خطوة للتّصحيح ونقلة للإصلاح، وهاهنا لن أتحدث عن الأسباب وتحليل الظاهرة، لكنّها دعوة عاجلة للمراجعة وإعادة الحساب، إنّ غاية ما أريد أن أقوله في هذا المجلس، هي دعوة أرفع بها صوتي، **وأشجو بها لكلّ فتاة تؤمن بالله واليوم الآخر أنّ تعود إلى طريق الاستقامة والصلاح، وأن تسلك الطريق التي خلقها الله عزّ وجلّ من أجله، واختارها سبحانه لتكون سائرة عليه، ولتكون أماً للأجيال.**

ماذا يريدون منكِ؟

يا فتاة.. لقد رأيتِه في السّوق، وعند بوابة المدرسة، وسمعتِ صوته عبر جهاز الهاتف، وربّما التقيتِ معه **وسمعتِ الألفاظ المعسولة، والكلمات التي تسيل رقة وعاطفة مصحوبة بالأيمان المغلّظة على صدق المحبّة، وعمق المودّة،** وربّما كانت يده قد خطّت رسالة لكِ تفيض بمعاني العشق والغرام، وربّما دار في خاطركِ أنّ هذا زوج المستقبل.

يا فتاة.. بعيداً عن العاطفة وعن سرابها الغادر، كوني منطقية مع نفسكِ واطرحي هذا السؤال: ماذا يريد؟

ما الذي يدفعه لهذه العلاقة؟ إنّ الصراحة خير من دفع الثمن الباهظ في المستقبل.

ماذا يقول لزملائه حين يلتقي بهم؟

وبأي لغة يتحدث عنكِ؟

إنني أجزم يا فتاة أنّكِ حين تزيحين وهم العاطفة عن تفكيركِ فستقولين وبملء صوتكِ: **إنّ مراده هو الشّهوة ، والشّهوة الحرام ليس إلا.**

يا فتاة.. ألا تخشين الخيانة؟ أترين هذا أهلاً للثّقة؟ شابّ خاطر لأجل بناء علاقة محرّمة، شابّ لا يحميه دين أو خُلق أو وفاء، شابّ لا يدفعه إلا الشّهوة أولاً وآخراً، أتأمنينه على نفسكِ بعد ذلك؟ لقد خان ربّه ودينه وأمّه، وأنتِ يا فتاة لن تكوني أعزّ النّاس لديه، أنتِ لن تكوني إلا طُعماً سرعان ما يحقّق مقصوده لتبقي بعد ذلك ـ لا سمح الله ـ صريعةً الأسى والحزن والنّدم.

ليتني لم أتخذ فلانا خليلا

يا فتاة.. هبي أنّكِ قد بنيت علاقة مع فلان من النّاس، وزادت المودّة، وقويت العلاقة حتّى صار خليلاً تبثينه الأشجان وتأسينَ لفراقه وتحزنين لوداعه، ولكنّ ألم تحدّثي نفسكِ يوماً من الأيّام بالمستقبل؟ ألم تسمعي أنّ هناك من ندم أشدّ النّدم، وتمنّى أنّه لم يعرف فلاناً أو لم يعرف فلانة؟ ألم تسمعي أنّ هناك من تمنّت أنّ فلاناً لم يمرّ طيفه بخاطرها وخيالها؟ من تمنّت أنّها لم تسمع صوته، أنّها لم تخرج إلى تلك الدّنيا كلّها، والتي كانت سبباً في معرفته؟ وحين لا يحصل النّدم في هذه الدّار، فقد يحصل يوماً تقولين فيه: (**لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولًا**) [الفرقان:28-29].

لماذا إهدار العاطفة؟

يا فتاة.. إنّ الله ﷻ حكيم عليم، ما خلق شيئاً إلّا لحكمة، ولا قضى قضاء إلّا وفيه الخير علم ابن آدم أو جهل، لقد شاء الله عزّ وجلّ بحكمته أن تكون المرأة ذات عاطفة جياشة، تتجاوب مع ما يُثيرها، لتنفجر رصيداً هائلاً من المشاعر، والتي تصنع سلوكها أو توجهه، وحين تصاب الفتاة بالتّعلق بفلان من النّاس قرب أو بعد، فأيُّ هيام سيبلغ بها؟ فتاة تعشق رجلاً فتقبِّل شاشة التّلفاز حين ترى صورته، أو أخرى تعشق صوته فتنتظره على أحرّ من الجمر لتشنّف سمعها بحديثه، وحين تغيب عن ناظريها صورته، أو تفقد أذنها صوته يرتفع مؤشّر القلق لديها، ويتعالى انزعاجها فقد غدا هو البلسم الشّافي!!

يا فتاة.. بعيداً عن تحريم ذلك وعمّا فيه من مخالفة شرعية، ماذا بقي في قلب الفتاة من حبّ لله ورسوله، ومن حب للصّالحين بحبّ الله؟

ماذا بقي لتلاوة كلام الله عزّ وجلّ والتّلذذ به؟

أين تلك التي تنتظر موعد المكالمة على أحرّ من الجمر، ومتى؟ في ثلث الليل الآخر وقت النزول الإلهي؟

أينها من التلذّذ بمناجاة الله عزّ وجلّ والانطراح بين يديه؟

بل أينها من مصالح دنياها؟

فهي على أتمّ الاستعداد أن تتخلف عن الدّراسة من أجل أمر واحد، هو اللقاء به، إنّها على أتمّ الاستعداد أن تُهمل شئون منزلها من أجل مطلب تافه، من أجل مطلب الإفاضة في سماع صوته والحديث معه، بل وما بالها تعيش هذا

الجحيم والأسى فيبقى قلبها نهباً للعواطف المتناقضة والمشاعر المتضاربة:

فما في الأرض أشقى من محبّ *** وإن وجد الهوى حلو المذاق

تراه باكياً في كلّ حال *** مخافة فرقة أو لاشتياق

فيبكي إن نأوا[1] شوقاً إليهم *** ويبكي إن دنوا حذر الفراق

إنّ هذا الرّكام الهائل من العواطف المهدرة ليتدفّق فيغرق كلّ مشاعر الخير والحبّ والوفاء للوالدين، إنّ هذه المشاعر والتي تُهدر لفلان من النّاس، إنّها لا بد أن تكون حتماً على حساب ما يحتاجه أبناؤها، فحين تُرزق الأبناء فلن تجد بعد ذلك رصيداً من العواطف تصرفه لهم فينشئون نشأة شاذّة ويتربون تربية نشازاً.

يا فتاة.. العاقل حين يملك المال فإنّه يكون رشيداً في التّصرف فيه حتى لا يفقده حين يحتاجه، فما بالكِ تُهدرين هذه العواطف والمشاعر فتصرفيها في غير مصرفها وهي لا تقارن بالمال، ولا تقاس بالدنيا؟

يا فتاة.. لقد خصّك الله سبحانه بهذه العاطفة وهذا الحنان وهذه الرّقة وهذا التّجاوب مع هذه المشاعر لحكمة يريدها سبحانه وتعالى، ليبقى هذا رصيداً يُمدّ الحياة الزّوجية بعد ذلك بماء الحياة والاستقرار والأنس، ليبقى رصيداً يُدِرُّ على الأبناء الصّالحين حتى ينشئوا نشأة صالحة، فما بالكِ تهدرين هذه العواطف لتجنين أنتِ وحدكِ الشّقاء في الدنيا؟ فتارة تشتاقين إلى اللّقاء، وأخرى تبكين خوف الفراق والأسى، وأخيراً تضعين يدكِ على قلبكِ خوف النّهاية، خوف الفضيحة، خوف هذه النّهاية المؤلمة التي أهدرت عواطفكِ، وأهدرت أعزّ ما تملكين من أجل أن تصلي إليها، أعرفتِ الثّمن الباهض، الذي تدفعينه حين تصرفين هذه العاطفة في غير مصرفها الشرعي؟

---

[1] ابتعدوا .

إلى هذا الحدّ ترخص المرأة!

يا فتاة.. مظهر لا أشكّ أنكِ ترفضينه غاية الرّفض، وتمقتينه غاية المقت، إنه يُمثّل إهداراً لشخصيتكِ وإهانة لكرامتكِ ومقومات أنوثتك، إنّه تحويل للمرأة التي كرّمها الله عزّ وجلّ، وجعل لها حقاً ومنزلة وأوصى ببرّها وحسن صحابتها، وربط ذلك برضاه سبحانه وتعالى، وقرن عقوقها بالشّرك به وعده من أكبر الكبائر.

أي إهدار رخيص لقيمة المرأة حين تُجعل وسيلة للدّعاية والإعلان لترويج السّلع والمنتجات؟ فهل تصل قيمة المرأة والفتاة عند هؤلاء أن توضع صورتها على علبة الصابون أو المناديل؟ أو تُزيّن بها أغلفة المجلات؟ أليس هذا وسيلة للإثارة والإغراء وترويج المطبوعة؟! ألا ترين يا فتاة أنّ في هذا إهانة لك؟ أنّ في هذا تحويلاً لكِ إلى مصدر للثّراء ولجمع المال أيًّا كان مصدره.

لقد بدأت يا فتاة ـ حتى أفجر الممثلات في الغرب ـ يشعرن بسقوط المرأة أمام قدمي الرّجل ونفسيّته الجشعة، فقد نشرت إحدى الصّحف أنّ ممثلةً فرنسية بينما كانت تمثل مشهداً عارياً أمام الكاميرا ثارت ثورة عارمة، وصاحت في وجه الممثل والمخرج قائلة: (**أيّها الكلاب، أنتم الرّجال لا تريدون منّا نحن النّساء إلا أجسادنا؛ حتى تصبحوا من أصحاب الملايين على حسابنا، ثم انفجرت باكية**)!!

لقد استيقظت فطرة هذه المرأة في لحظة واحدة على الرّغم من الحياة الفاسدة التي تغرق فيها، استيقظت **لتقدّم الدّليل القاطع على عمق المأساة التي تعيشها تلك المرأة التي قالوا عنها إنّها متقدّمة.**

قارني بين الصورتين

الصورة الأولى: شابٌّ مستقيم محافظ على طاعة مولاه، قد سخَّر وقته وجهده لعبادة ربّه، وأفنى شبابه في طاعته.

والثاني: شابٌّ تائه زائغ تقيمه شهوته وتقعده.

فالأول: تُعرض له الفتنة، وتبدو أمام ناظريه فيغضّ بصره ويعرض عنها، بل وينأى عن مواقعها، إنّه كالآخرين يدعوه داعي الشّهوة وتحرّكه العاطفة، لكنّه يشعر أنّ عاطفته وشهوته مأسورة بإطار الشّرع ومحاطة بسياج. تحادثه الفتاة وتنبري أمامه وتسعى لإيقاعه، لكن لسان حاله يقول: (**مَعَاذَ اللهِّ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ**) [يوسف:23] .

والثاني: ينهار أمام شهوته وينهزم أمامها؛ فيقضي سحابة نهاره وليله في التسكّع في الأسواق، أو أمام بوابات المدّارس، أو واقفاً تحت سماعة الهاتف، وربّما كان يتحدّث من خلال هاتف العملة[1] فيبقى طويلاً طويلاً، يحادث هذه الفتاة وتلك، يبحث هنا وهناك، يبحث عن الصّورة الفاتنة والمجلّة السّاقطة.

يا فتاة.. كوني واقعيّة ومنطقيّة، واحكمي بعيداً عن العاطفة، أيّهما أكثر رجولة، ومن أحقّ بالثّناء والإعجاب، الشّاب الذي ينتصر على شهوته ويستعلِي على رغبته استجابة لمرضاة الله ﷻ؟ أم الآخر الذي ينهار أمام داعي الشّهوة ويسعى لتحقيقها على أشلاء كلّ خُلقٍ وفضيلة؟

[1] هي الهواتف العمومية بالنقود .

من أولى بالقدوة؟

يا فتاة.. لكلّ أمّة تاريخ تفخر به، ولكلّ امرئ مجدٌ ينافح عنه ويتطلّع إليه، وتتحكّم ثقافة المرء وخلفيّته في اختيار المحتوى التّاريخي الذي يفتخر به وينتمي إليه؛ فهناك من غاية التّاريخ عنده موروثات قديمة، ومقتنيات الآباء والأجداد من الأدوات والأواني والأثاث، وهناك من يشعر أنّ المنهج، والفكر، والمبدأ أثمن من هذا كلّه، فيعتبر أنّ هذا هو تراثه الحقيقي.

يا فتاة.. حين نطبّقُ هذه القاعدة على الفتيات فسنجد الصّورة نفسها، فمنهنّ من لا تذكر من التّاريخ إلّا حكايات جدّتها قبل النّوم، وهناك من ترى التّراث في إناء أو موروث قديم، وهناك من تمتدّ في التّاريخ امتداداً أفقيًّا مع الجيل الحاضر والأمم المعاصرة؛ فترى قدوتها في عارضة أزياء ساقطة، أو ممثلة كافرة، أو مغنية فاجرة، ومنهنّ من تمتد امتداداً رأسيًّا لترى قدوتها في أمّ عمارة نسيبة بنت كعب، أو ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر ، أو في اللواتي أثنى عليهن الله ﷻ: (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**)[الأحزاب:33]، واللاتي قال الله ﷻ عنهن: (**قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ**)[التحريم:5]، ويتجاوز نظرها هذا المدى ليدرج ضمن هذه القائمة امرأة فرعون: (**إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الجنّة وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**) [التحريم:11] .

يا فتاة.. أدعوكِ مرة أخرى لتحكمي وبمنطق العقل والموضوعية، من أولى بالقدوة؟ ومن أحقّ بالأسوة؟

يا فتاة.. لو وضع لك الخيار أن تكوني كإحدى الطائفتين، فأين أراكِ

تختارين؟ حزب عائشة وزينب وأسماء وآسية ؟ أم حزب عارضات الأزياء والممثلات؟

يا فتاة.. حين يهديكِ عقلكِ الرّاشد إلى اختيار أحد الحزبين، وخير الطائفتين، **فسوف تسعين حتماً للاقتداء بمن تختارين، والسّير في ركابه، وإن لم تصلي النّهاية التي وصلن إليها، إلّا أنّك في الطريق.**

وإليك النّهاية التي تصل إليها الساقطات: إحدى الممثلات السّاقطات، وأعتذر عن ذكر هذه الأسماء في مثل هذا المكان المبارك، فقد ذكر الله عزّ وجلّ في كتابه اسم فرعون وقارون وهامان .

الممثلة الراحلة ـ كما يقال ـ **(مارلين مونرو)** نالت المال الذي تستطيع أن تحصل به على كلّ شيء، والشّهرة التي جعلت اسمها وصورتها تملأ صحف العالم، والجمال الذي يشد أنظار الرّجال إليها ويجذبهم نحوها، نالت كما يقال ثالوث السعادة: المال والشّهرة والجمال، لقد وجد المحقق الذي درس قضية انتحار هذه الممثلة الشّهيرة وجد رسالة محفوظة في صندوق الأمانات في **بنك مانهاتن** في **نيويورك**، حين فتح المحقق الرّسالة وجدها مكتوبة بخطها نفسها وهي موجهة إلى فتاة تطلب نصيحتها عن الطّريق إلى التّمثيل فتقول في رسالتها: (**احذري المجد، احذري كلّ من يخدعك بالأضواء، إنّني أتعس امرأة على هذه الأرض لم أستطع أن أكون أمًّا، إني امرأة أفضِّل البيت، أفضِّل الحياة العائلية على كلّ شيء، إنّ سعادة المرأة الحقيقيّة في الحياة العائلية الشّريفة الطاهرة بل إنّ هذه الحياة لهي رمز سعادة المرأة بل الإنسانية**) انتهى كلامها.

إنّه شاهد على تلك المأساة التي تعيشها أمثال هذه النّسوة، والتي تراها بعض الفتيات قدوة لها وأسوة لها، وصرح بعض النّقاد بأن الجاني هو كلّ فرد في المجتمع الغربيّ.

قال أحدهم في إيطاليا: إنّها لم تنتحر، نحن الذين قتلناها، نحن الذين نشاهد الأفلام ونقرأ المجلات.

بل اعتبرها أديب آخر إنسانة لم تطق استمرار العيش في قاذورات تلك الحضارة، ولم تجد مفراً من موتها اليومي إلّا بالموت النّهائي.

نعم لقد وجدت هذه الممثلة في الانتحار خلاصاً من شقائها، وتحرّراً من واقعها، ونجاة من مستغليها والمثرين على حساب أنوثتها.

قارني ـ يا فتاة ـ بين هذه الصورة وبين صورة تلك المرأة التي تقول: (رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الجنّة وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [التحريم:11].

ألم تدخلي المصلى؟

يا فتاة.. ألم تنقلك قدماك إلى المصلى؟ تفضّلي علينا بدقائق من وقتكِ، وادلفي[1] خطوات إلى مصلى الكلّية، إلى هناك حيث يجتمع ثلّة من الصّالحات القانتات العابدات، إحداهنّ تقرأ القرآن، والأخرى تركع ركعتي الضّحى، والأخرى في مجلس علم وذكر، في حين يتحلّق غيرهنّ على موائد من اللّحوم البشريّة، واحتفظي بهذه الصّورة في الذّاكرة، وحين تعودين إلى المنزل وتستلقين على الفراش تفضّلي على نفسك بدقائق فاسترجعي تلك الصّورة، وقارني بينها وبين فتاة تقف عند بوابة المدرسة، أو أمام محلّ تجاري وهي تسارع خطاها وأنظارها في كلّ اتجاه، هل جاء صاحبها أم لا؟ ثمّ هل يراكم من أحد؟ أو بين تلك التي تتصفّح مجلة ساقطة، أو تحملق أمام الشّاشة، أو تمسك بسماعة الهاتف؟

بالله عليكِ أيّهما أهنأ عيشاً، وأكثر استقراراً؟ أيّهما أولى بصفات المدح والثناء؟ تلك التي تنتصر على نفسها ورغبتها، وتستعلي على شهوتها، وهي تعاني من الفراغ كما تعانين، وتشكو من تأجّج الشّهوة كما تشكين، أم الأخرى التي تنهار أمام شهوتها؟

يا فتاة.. تساؤل يطرح نفسه ويفرضه الواقع: **لماذا هذه الفتاة تنجح ولا أنجح أنا؟ لماذا تجتاز هذه العقبة وأنهزم أمامها؟**

إنها صورة تشخص أمام ناظريكِ يا فتاة، فأنتِ ترينها كلّ صباح في المدرسة، ترينها كلّ مساء في مناسبة عائلية، أو لقاء الأفراح، ترين هذه الصورة وأجزم وأنكِ وأنت تواجهينها بالسّخرية اللاذعة والكلمة الجارحة؛ أنكِ تقولين

---

[1] اقتربي وأقبلي .

من الداخل كلاماً آخر غير هذا كلّه، فلماذا لا تكونين صريحة؟ لماذا لا تعلني هذا الكلام الذي بداخلك؟ لماذا لا تفكرين مرة أخرى بمنطق العقل: كيف تنجح هذه وأفشل أنا؟

قبل أن تذبل الزهرة

يا فتاة.. ها أنتِ تتطلعين إلى المرآة، فترين صورة وجه وضيء، يتدفّق حيوية وشباباً، ها أنتِ تغدين وتروحين وأنتِ تتمتعين بوافر الصّحة وقوّة الشّباب، ولكن ألم تزوري جدّتك يوماً؟ أو تري عجوزاً قد رقّ عظمها وخارت قُواها؟ لقد كانت يوماً من الدّهر شابّة مثلك، وزهرة كزهرتك، ولكن سرعان ما مضت السّنون وانقضت الأيام فاندفنت زهرة الشّباب تحت ركام الشيخوخة، ومضت أيّام الصّبوة لتبقى صورة منقوشة في الذاكرة؟ وها أنت يا فتاة على الطريق، وما ترينه من صورة شاحبة وشيخوخة، إنّما هي مرآة لما ستكونين إليه في المستقبل بعد سنيات.

إذاً فكيف تهدرين وقت الشّباب وزهرته، وتضيعين الحيوية فيما لا يعود عليكِ إلا بالندم وسوء العاقبة؟

يا فتاة.. لقد وعد ﷺ بأنّ من السّبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله شاب نشأ في طاعة الله عزّ وجلّ، والخطاب للرّجال تدخل فيه النّساء، في يوم تدنو الشّمس فيه من الخلائق حتى تكون منهم على قدر ميل، حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعون ذراعاً، فمنهم من يبلغ العرق إلى كعبيه، ومنهم من يبلغ إلى حِقويه[1]، ومنهم من يبلغ إلى أذنيه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً !

فهلّا فّكرتِ أن تكوني من اللواتي في ظلّ عرش الرّحمن يوم لا ظلّ إلا ظلّه؟

---

[1] الحقو هو الخصر أو معقد الإزار .

ما للفتاة والرياضة؟

يا فتاة.. هل صحيح ما سمعنا عنكِ، أنّكِ تهتمين بمتابعة أخبار الرّياضة، وأنّكِ ربّما لا تحضرين الدّراسة، حين يكون هناك مباراة هامّة، وأحياناً تستأذنين من المحاضرة لتتصلي بالهاتف فتسألي عن أخبار المباراة، ومن الفريق المنتصر؟

أصحيح أنّكِ تُعجبين برياضي ماهر، وتتطلّعين إلى صورته، وتتمنّين أن تري منجزاته؟

يا فتاة.. اللّهو المباح المنضبط أمر يقرُّه الشّرع، لكن هذا شأن؛ وما تعيشه الفتاة مع الرّياضة شأن آخر، أيليق بمربيّة الأجيال وأم الدعاة ومنجبةُ القادة أن تكون هذه نهاية اهتماماتها؟ وغاية طموحاتها؟

فاز الفريق وانتصر! وحصّل على كذا وكذا من النّقاط! فماذا حصل؟ وأيّ أمر كان؟

أليس للفتاة مهّمة ووظيفة أعلى من هذا كلّه؛ تستوجب عليها أن تحتفظ بوقتها وبعواطفها وبمشاعرها وبحماسها لما هو أسمى من هذا كلّه؟

بم يُعاب الرّجل؟

إنّ أكبر عيب يوجّه للرّجل أن يقال له: إنّه امرأة، وحين يعيّر الرّجل بالأنوثة فهذا غاية السّب والشّتم، إذاً ما بالكِ بالمرأة المسترجلة، ما بالكِ بالمرأة التي تتشبه بالرّجال، أليست مدعاة بأن تقيم شاهداً على نفسها من واقعها، والفعل أبلغ من القول- أنّها امرأة مسترجلة أنّها تدعو الآخرين إلى عيبها.

العذراء في خدرها

يا فتاة.. يُمتدح الرّجال بالشّجاعة والكرم والنّخوة، ولكن أتدرين بم تُمتدح الفتاة؟ إنّها تُمتدح بالحياء، وحين يوصف الرّجل بالحياء يشبّه بالعذراء، ولهذا كان ﷺ أشدّ حياءً من العذراء في خدرها، أتظنّين يا فتاة أنّكِ حين تطيلين اللّسان وترفعين اللّهجة، وحين تزيلين عنك غشاوة الحياء، أتظنين أنّك تبلغين مبلغاً عالياً سامياً؟ أم أنكِ تضحين بشيء من أغلى ما تُمدحين به، وتوصفين به؟

لا مجال للمخاطرة

قد يقود الفراغ -وربّما الفضول- الفتاة لمكالمة هاتفية خاطفة قد تكون بداية المأساة لهذه الفتاة، فإمّا أن يعرف ذلك أحد الوالدين، فتقع الفتاة في دوّامة من الحيرة والقلق لا نهاية لها، أو أن يتمّ اللّقاء والفضيحة فتدمّر مستقبلها وحياتها، أو أن يكون ذلك مدعاة لقتل عفافها.

واسمعي لهذه الرواية؛ في مجلة الأمة الصادرة بتاريخ 22/ 7/ 1987م، نقرأ هذه المأساة :

أنا فتاة أبلغ من العمر التّاسعة عشرة، في السنّة الأولى في الجامعة اعتدت أن أراه في ذهابي وعند عودتي من الجامعة، في كلّ مرّة يبادلني التّحية، وتصادف أن التقينا في مكان عام، وشعرت معه بمعنى الحياة، تعاهدنا على الزّواج، ثمّ تقدم لخطبتي، وعشت أياماً سعيدة، وفي ذات يوم حدث بيني وبينه لقاء، **فقدت فيه عذريتي!!** ووعدني أن يسرع بالزّواج، وبعد عدّة شهور من لقائنا اختفى من حياتي وأرسل والدته لتنهي الخطوبة، ولتنهي معها حياتي كلّها، فالحزن لا يفارق عيني، أعيش في سجن مظلم مليء بالحسرة واللّوعة والأسى، ولا تقولي لي: إنّ الأيام كفيلة بأن تداويني بنعمة النّسيان، فكيف أنسى ما أصابني من الذي أعطيته كلّ شيء، وجعلني لا أساوي شيئاً؟

إنّها نهاية ـ يا فتاة ـ قد تكون هي النّهاية التي تصل إليها كلّ فتاة تسلك هذا المسلك، **وقد تكون أوّل خطوة في هذا الطّريق وهذه النّهاية، هي مكالمة خاطفة، فهل يستحق الأمر هذه المخاطرة؟**

صور من حياة المرأة الغربية

يا فتاة.. لقد قصّ الله عزّ وجلّ علينا في القرآن قصص الأمم الكافرة والأمم الغابرة لنتّعظ بها ونعتبر، فإليك هذه الصّفحات العاجلة مما تعيشه المرأة في عالم الغرب، ذاك العالم الذي يُراد لكِ أن تكوني مثلهم :

أولاً: هكذا تهان المرأة

في دراسة أمريكية أُجريت عام 1407هـ، أشارت إلى أنّ 79٪ من الرّجال يقومون بضرب النّساء، وبخاصة إذا كانوا متزوّجين منهنّ!

وفي دراسةٍ فُحص فيها 1360 سجلاً للنّساء في المستشفيات، تقول: إنّ ضرب النّساء في أمريكا ربّما كان أكثر الأسباب شيوعاً للجروح التي تُصاب بها النّساء، وأنّها تفوق ما يلحق بهنّ من أذى نتيجة حوادث السّيارات والسّرقة والاغتصاب مجتمعة!

وفي فرنسا تتعرض حوالي مليون امرأة للضّر! وأمام هذه الظاهرة التي تقول الشّرطة إنّها تمثل حوالي 10٪ من العائلات الفرنسية! أعلنت الحكومة أنّها ستبدأ حملة لمنع أن تبدو أعمال العنف هذه كأنّها ظاهرة طبيعية.

وقالت أمينة سرّ الدولة لحقوق المرأة: إنّ الحيوانات تُعامل أحياناً أحسن منهن! فلو أنّ رجلاً ضرب كلباً في الشّارع فسيتقدم شخص ما بالشّكوى إلى جمعية الرّفق بالحيوان، ولكن إذا ضرب رجل زوجته في الشّارع فلن يتحرّك أحد.

وتقول صحيفة **فرانسر** عن الشرطة: إنّ 60٪ من الدّعوات الهاتفية التي

تتلقاها شرطة الخدمة في باريس أثناء الليل هي نداءات استغاثة من نساء يسيء أزواجهنّ معاملتهن!

ثانيا : العلاقات غير الشرعيّة

دلّت الدراسات على أنّ في الولايات المتّحدة نفسها أكثر من 35 مليون متزوج يقيم علاقة غير شرعيّة خارج عش الزوجية، أي نسبة تصل إلى 70٪ من الرّجال المتزوجين، وبعبارة أخرى فإن 70٪ من الزّوجات الأمريكيات مأسورات بقيد الخيانة، خيانة أزواجهن لهن!

ويقول المحلّلون إن 90٪ من حوادث الاغتصاب لا تصل إلى سجّلات البوليس! وفي المقابل تقول إحدى الإحصائيات إنّ حادثة اختطاف تسجل كلّ 6 دقائق، هذه الحادثة لا تشكل إلا 10 ٪ من صور حوادث الاغتصاب!

وفي **لوس إنجلوس** ـ التي أصبحت تشتهر بأنّها عاصمة حوادث الاغتصاب في العالم ـ واحدة من ثلاث فتيات فوق سن 14 عامًا معرضة للاغتصاب!

وأم!ا في فرنسا، فقد أذاع الراديو الفرنسي في يوم الأحد 25/ 9/ 1977م إحصائيّة ذكر فيها أنّ في فرنسا 5 ملايين امرأة متزوجة على علاقة جنسية بغير زوجها!

وأذاع التّلفزيون الفرنسي في القناة الأولى أنّ المحكمة الفرنسية ردّت الدّعوى التي قدّمها الزّوج بحق زوجته التي تخونه، وبعد تقديم الدّليل قالت المحكم : ليس من حق الزوج أن يتدخل في الشؤون الخاصة بزوجته!

ثالثا : الدّمار في الحياة العائلية

أنقذوا العائلة من الموت .. أنقذوا العائلة من الموت : هذا نداء أطلقه العالم

الاجتماعي الفرنسي (**جيرند أوريل**) وهو النّداء الثالث الذي يُطلقه خلال 30 سنة الماضية.

وقد قام الباحث الغربي على امتداد سنتين ماضيتين بمسح ميداني للعائلة الغربية، تنقّل فيه بين مختلف البلاد الأوروبية وعبر الأطلس إلى الولايات المتحدة وكندا ليعود بجعبة مليئة بالأصوات التي تحذّر من اتجاه العائلة الغربية نحو الهلاك.

هذه الأصوات مع تحليل وافٍ لها جمعها في كتاب أطلق عليه عنوان: (**أنقذونا**)، والأصوات تلك هي عبارة عن الحوارات القصيرة التي أجراها المؤلف مع نساء وأطفال وآباء وأجداد حول طبيعة علاقة كلّ واحد منهم بأفراد العائلة الآخرين، والأصوات البعيدة كانت نادرة جداً بل هي استثنائية.

وها هي المرأة الغربية تنادي: (**أريد العودة إلى منزلي**)، وهذا عنوان كتاب ألّفته إحدى المفكّرات الفرنسيات.

وفي إحصائية في السّويد تقول: إنّ المرأة السويدية فجأةً اكتشفت أنّها اشترت وهماً هائلاً -تقصد الحريّة التي أعطيت لها- بثمن مفزع؛ وهو سعادتها الحقيقية.

هذه هي حال المرأة في الغرب، هذا هو الحال الذي جنته تلك المرأة التي سارت على هذا الطّريق، وهي الخطوة التي يراد لكِ ـ يا فتاة ـ أن تسيري إليها، وهي النّهاية التي يُراد لكِ ـ يا فتاة ـ أن تصلي إليها، فهلا اختصرتِ الطّريق من الآن؟

وهلا قطعتِ الطريق قبل أن تصلي إلى هذه النهاية.

أنت صاحبة القرار

إنّ الاقتناع بخطأ طريق الغفلة، والممارسة الشّاذة، والسّلوك المنحرف أمر يشترك فيه الكثير من الشّباب والفتيات ممن هم كذلك، بل أكثرهم يقتنع بحاجته إلى الالتزام والاستقامة، ولكن هذا القرار الشّجاع، الحاسم يقف المرء معه متردداً متهيباً.

لست أدري ما مصدر هذا التردّد ما دام الاقتناع قد تكوّن لدى الفتاة بخطأ طريقها، وسلامة الطريق الآخر، فماذا تنتظر؟ إنّه التخوف من المستقبل الذي لا مبرّر له.

القضية باختصار يا فتاة: قرار جريء وشجاع تتّخذينه، وبعد ذلك يتغيّر مجرى حياتكِ تلقائياً، ويهون ما بعده، فهل تعجزين عن اتخاذ هذا القرار؟

لا أخالكِ كذلك وقد عهدناكِ الجريئة، وقد عهدناكِ التي لا يقف دون رغبتكِ شيء، فأنتِ التي استطعتِ أن تسلكي خطاً ومساراً غير ما كانت عليه أمُّكِ وأجدادكِ، أنتِ التي استطعتِ أن تتمردي على تلك التّوجيهات التي سمعتها من أبيكِ وأمّكِ، أنتِ التي استطعتِ أن تخرقي هذا السّياج كلّه، فأين هذه الجرأة والشجاعة؟

إنّنا نريد أن تتضافر هذه الجرأة وهذه الشّجاعة لتكوّن عندكِ دفعة لاتخاذ هذا القرار، واسألي من كُن شركاء لكِ في الماضي فاتخذن هذا القرار وسلكن طريق الهداية.

رسالة من فتاة

أخيراً وردت إليّ رسائل كثيرة من بعض الفتيات، حول هذا الموضوع، وهي رسائل من حقهنّ أن نذكر بعضها، لكنّي أعتذر لكم وأعتذر لهنّ سلفاً أن أختصر بعضاً من رسالة طويلة وردت إليّ من إحدى الفتيات، إنّها تصوّر هذا الواقع التي تعيشه هذه الفتاة؛ تقول:

(كيف يسهل لقلمٍ مسلم أو مسلمة أن يكتب واقعاً مريراً مؤلماً لفتاة مسلمة؟

كيف يسهل لأقلامنا أن تكتب واقعاً هي متسبّبة فيه؟

اللهم ارزقنا الأقلام السّيالة المجاهدة الدّاعية إليك بالحكمة والموعظة الحسنة.

أولاً: واقعها في المدرسة

هي حائرة شاردة الذهن دائماً، من الطّبيعي أنّ المسلمة كذلك وخاصّة في هذا العصر الذي لا تجد فيه ما يبهج النّفس، فهي لا تُلام على حيرتها، ولكنّ الأمر الذي نلومها عليه والأدهى من ذلك هو:

في ماذا تفكّر؟ ولماذا الحيرة؟

من أجل أمتها؟

أم لها مكانة اجتماعية شغلت ذهنها؟

أم أنها تتأمل في ملكوت الله، أم ماذا؟

يا فتاة الإسلام، للأسف لا هذا ولا ذاك، أخشى أن تُصعق يا أخي حينما تعلم الأمر الذي شغل فكر ابنة الإسلام، قبل أن تقرأه احمد الله تعالى على كلّ حال.

وكأنّي بك وأنت تتخّيلها وهي حائرة تفكّر في عشيقها الذي كلّمته البارحة، قد أتعبها وآلمها وحيّر عقلها غضبه منها!!

وإليك هذه الواقعة التي حدثت معي شخصياً، والتي ربّما لو سمعتها من غيري لما صدّقت أن تصل فتاة الإسلام وأمل الأمّة إلى هذه المرحلة من الانحطاط:

بينما نحن في حصّة فراغ وإذا بي أرغب زميلاتي وكل واحدة منهن في واد لا تعلمه الأخرى، فهذه تسرّح شعرها، والأخرى تكتب واجبها، والثالثة قد تحلّق حولها معظم البنات وكأنّهن قد جمعن على مائدة! نعم مائدة من الّلحوم البشريّة، وأختنا المفقودة لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، هي في واد آخر اقتربت منها فسلّمتُ عليها فردت عليَّ السلام باختصار شديد، وبدأنا نتجاذب أطراف الحديث حتى وصلت إلى السّؤال المقصود:

ما سبب حيرتها؟

أجابت بالحرف الواحد: حرف (A)

قلت: لماذا إنّه سهل الكتابة؟

فضحكت ضحكة اتّضح لي منها معنى السخرية وكأنّها تقول: إنّكِ جاهلة ولا تعرفين شيئاً ولستِ كالبنات.

فقلت: (**إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ**) [هود: 38]

وهنا تناديني زميلة أخرى من المقرّبات إلى صحابتنا لتسألني عن أمر ما، فقلت لها: ما بال فلانة؟

وأخبرتها الخبر فقالت: إّنها تحب شاباً يسمّى عبد الرحمن وقد حدث بينهما سوء تفاهم هذه الأيّام، وهي على هذه الحالة من أسبوع!!

لا أدري ما أسطّر وماذا أدع؟ واقع تعيشه فتاة الإسلام يكاد ينطق الصّخور، ربّما تتهمني بالمبالغة، لا تلام يا أخي، فكيف لك يا ابن الإسلام أن تصدّق واقعاً كهذا لمسلمة؟

لا ألومك فأنت لم ترهُنّ وهن يتحدّثن بكلّ بجاحة وسوء أدب وكأن أمراً لم يحدث.

صدقني يا ابن الإسلام أنّ كلماتي تكاد تنطق من حرارتها حزناً لواقعنا الأليم، وكثيراً ما أرى وأسمع وأُعاصر حوادث ووقائع تؤيد ما أقول.

تنتقل أختنا لتصوّر صوراً من حوارها مع بعض الفتيات، وتحدّثها إحداهن عن برنامجها، تقول:

أصل إلى البيت السّاعة الواحدة ظهراً ثمّ أصلي الظهر.

كم تستغرقين؟ خمس دقائق.

ثمّ ماذا تفعلين؟ بصراحة أكلّم خالد .

كم تستغرقين؟ نصف ساعة.

سؤال آخر: متى تنامين؟ والله أنام السّاعة الواحدة أو الثانية عشرة.

وتقومين الفجر؟ لا، سامحكِ الله أقوم متى كلمت محمداً .

من محمد ؟ محمد عمرها حياتها.. يكفي.

السّاعة كم؟ متى كلّم السّاعة الثانية أو السّاعة الثالثة أستيقظ.

وتستيقظين ولا تتعبين؟ نعم أقوم، وإذا ما قمت له فلمن أقوم؟!

وكم تستمرون في المكالمة؟ والله متى ما رغب أغلقت السّماعة، وأغلب الأحيان على رغبتي، ساعةً بعد الفجر!!

أين أهلكِ من هذا كلّه؟ ماذا تقولين؟ بعد أن أطلقت ضحكة عالية لفتت أنظار الجميع.. أهلي؟! أمي بعد العصر في زيارة، والوالد في العمل، وإخواني مع المعذرة ـ لهذه العبارة ـ وإخواني ألعن منّي، وفي الليل نائمين.

وبعد ذلك انتهى بنا المطاف، وهنا قفزت أسئلة كثيرة إلى ذهني، ووددت لو سألتها ولكن أين هي؟ لقد ذهبت مع صاحبتها.

لا حول ولا قوة إلا بالله، أيعقل يا فتاة الإسلام أن يكون هذا يومكِ؟ وهكذا دوماً تسير حياتكِ؟ أين كتاب الله في قاموس حياتكِ؟ أين الأذكار النبوية؟ أين الدعاء والإلحاح على الله؟ أين المحافظة على الصّلاة في وقتها والخشوع فيها؟ أين معاني الوحدة التي تربطنا بإخواننا؟ أين.. أين .. وأين يا فتاة الإسلام؟

آسفة يا أخي.. لقد أزعجتك وسمعَك بهذا الواقع، ولكن هي الحقيقة، ولا بد أنّك الآن شاخص العينين، مشدود الفكر في واقع أختنا والذي يعدّ واحداً من المئات، لا أدري ما شعورك الآن بعد قراءة هذه الكلمات من أفواه المسلمات؟ أمّا أنا فلم يعد في مقدوري المواصلة، وهنا يقف قلمي ليعلن استسلامه، وما بقي أكثر ممّا ذُكر ولا حول ولا قوة إلا بالله) وإلى هنا انتهت هذه الرسالة.

هذه معشر الفتيات جزء من رسالة واحدة وصلتني من إحدى الفتيات تصوّر فيها هذا الواقع، ولولا ضيق الوقت لأفضت في الحديث عمّا في هذه الرّسالة أو غيرها.

وأخيراً وفي نهاية المطاف إنّني أقول لكِ يا فتاة، وأقول للجميع، ومع هذا الحديث كلّه فإننا نقول: ليس هذا هو الواقع المحتوم، فهناك بيوت محافظة، وهناك نساء صالحات قانتات، ونحن حين نتحدّث عن هذا الواقع المؤلم الآسي مرّة أخرى لا يسوغ أيضاً أن نبالغ ونتّهم النّاس كلّهم بذلك، وأيضاً لا يسوغ أن

يعترض علينا معترض ليقول إنّ النّاس في عفّة وحياء وهو يعرف قريباته، ويعرف عائلته، ولا يعرف واحدة منهن بهذه الحال، فيعترض علينا ويرى أنّ في هذا الأمر تشهيراً.

يا فتاة.. والله لقد ترددت كثيراً أن أقول هذا الحديث وأقول هذا الكلام، ولكنّي أرى المصارحة والوضوح؛ خاصّة والقضية أصبحت ظاهرة لكلّ ذي عينين، بل والحديث تحت ضوء الشمس خير وأولى لنا، علّها أن توقظ قلوباً غافلة وتسمعها آذان لم تعد تسمع هذا الصوت الناصح.

معذرة إخوتي الكرام فقد أطلت عليكم، ولقد اختصرت كثيراً مما كنت أريد الحديث عنه، فالحديث يطول، وهو حديث ذو شجون، بل ومعذرة لأنّي أول مرة أستعمل في حديثي تاء التّأنيث، أوّل مرة أخاطب فيها الفتاة، وليس هذا حقّها علينا فحقّها أعظم.

نسأل الله عزّ وجلّ أن يعيننا على أداء هذا الحق.

سؤالان وإجابتاه[1]

السؤال الأول : إذا تورّطت فتاة في علاقة [مع] شابّ فكيف يمكن الخلاص منه، وهو يهدّدها بنشر الشريط الذي فيه صوتها [2] ؟

الجواب : هذه صورة أيّها الاخوة تتكرر كثيرا، ويكثر عنها السّؤال وتنهار الفتاة ضحية لأجلها، يعمد الشّاب إلى تسجيل المكالمة التي يجريها مع الفتاة، ولم يعد هذا سرّا أو أمرا خاصّا، وحينئذ يكون هذا الشريط وسيلة لتهديد الفتاة إن لم تستمر بالمكالمة، إن لم ترض باللقاء، إن لم تمنحه بعد ذلك أعزّ ما تملك فسيقوم بنشر هذا الشريط، فسيكون هذا الشريط وعائقا لها دون التّوبة ودون الرّجوع وحتّى بعد الزّواج فهو يهدّدها بأن يبلغ زوجها.

نقول باختصار:

أولا: إن ثمن التّوبة ثمن باهظ، فإذا كنت جادة بالتوبة إلى الله عزّ وجلّ وترين أن الحياة الحقيقية والسعادة إنّما هي في التوبة، فلابد أن تدفعي الثمن ولو كان غاليا، فلابد أن تتحمّلي ما يصيبك، وهذا إنّما كان بما جنته يداك ابتداء.

ثانيا: فضيحة الدنيا أهون من فضيحة الآخرة، فأنت بإمكانك أن تقولي للناس: (نعم لقد وقعت في المكالمة، ولكني تبت، ورجعت إلى الله والدّليل على ذلك أني اخترت الفضيحة هذه العاجلة على فضيحة الدار الاخرة).

أمّا في الدار الاخرة (**فيرفع لواء لكلّ غادر يقال هذه غدرة فلان ابن**

---

[1] مفرغان من المحاضرة نفسها لكن من تسجيل آخر وإلقاء آخر للشيخ .

[2] أو يهددها بنشر صورها كما هو الحال اليوم .

فلان). فأيّهما أهون عليك؟ أن تكون جزءا من الفضيحة في هذه الدنيا؟ أو تكون فضيحة يوم القيامة؟ (**يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية**).

ثالثا: لا يمكن أن يجرؤ هذا الشّاب على نشر هذا الشّريط لعدّة أسباب :

1ـ إنّ هذا الشّريط يتضمّن صوته وصوتك أنت، وإعلانه يعني أنّه فضيحة لنفسه .

2 ـ إنّه في غنى، فهو يعرف عشرين فتاة غيرك، ويعرف الكثير، ويمكن أن يصل إلى غيرك، ولكنّه يستعمل هذا وسيلة للضغط ولأجل أن توافقي على ما لم تكوني توافقي عليه بدونه.

رابعا: بإمكانك أن تتّصلي بمعلمة لك، أو أن توصي أحد محارمك الذين تثقين بهم أن يتصل بمركز الهيئة أو بأحد أهل الخير فيقوم بعد ذلك بإنهاء المشكلة.

وأخيرا: مهما كانت القضيّة صعبة يا فتاة، ومهما كانت عائقك لك، فلا يسوغ أبدا أن تحول بينك وبين التوبة والإنابة، ويجب أن تعلمي أنّك حينما تختارين طريق التّوبة، وطريقة صلاح فإنك لابد أن تدفعي ثمنا باهظا .

يا فتاة .. لقد تاب الله عزّ وجلّ على بغيٍّ تاجرت بالزّنا لأنّها سقت كلبا رأته يتلوّى من العطش، **فأنت حين تصلحين وتلجئين إلى الله عزّ وجلّ بالدعاء وتسألين الله أن يحميك من جرّاء هذه الفتنة، فثقي إن شاء الله أن الله عزّ وجلّ قريب، يجيب دعوة الدّاعي إذا دعاه، (أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السّوء ويجعلكم خلفاء الأرض)** .

ولعلّ في هذا عظة وعبرة لكلّ فتاة تريد أن تتجرّأ على أن ترفع سماعة الهاتف، فتختار رقما عشوائيّا ـ كما تقول هيَ عن نفسها ـ لتتحدّث مع الرّجال، وأخيرا تجني الثّمرة مرّة والوبال بعد ذلك.

السؤال الثاني : إنّني فتاة لست من أهل الهواتف ـ ولله الحمد ـ ولستُ من أهل العلاقات المحرمة، ولكنّي مقصرة في طاعة الله عزّ وجلّ، وأنا لا أمانع من رؤية التلفاز وربّما الأفلام السّيئة، وقد أشاهد أحيانا بعض قنوات الاستقبال، غير أنّني أحبّ أن أهتديّ، وأتمنى ذلك، فهل من رسالةٍ توجّهها لي؟

الجواب: إنّ نفس الأثر الذي يتركه عليك الهاتف يتركه عليه أيضا هذا [الجهاز]، فأنت ترينَ في المسلسلات وفي القنوات، ترين صورة ذلك الشّاب الذي قد استعدّ للخروج أمام الشّاشة، فقد يكون فتنة لك، وقد [يأسر] قلبك وناظرك، فتعشقه عينك، بعد أن كانت تعشق الأذن السّماع، فيقع مع هذا الشاب، مع هذا الرجل، يقع معه ما كان يقع لصاحبتنا من خلال مكالمة الهاتف.

إنّك من خلال هذه المسلسلات ستعتادين على كلمات الحبّ والغرام! على أنّه لا مانع من العلاقة المحرمة! لا مانع من أن يكون للفتاة صديقا تذهب وإياه وتأتي وإياه وتأنس به!

إنّ هذه المسلسلات، وهذه الأفلام تدنّس كلّ معاني العفّة لديك والحياء، وهي تُغطّي بغشائها كلّ ما ترثيه أنت من تربية، من تربية أمك أو أبيك النّاصح لك، المشفق عليك، الذي كان كثيرا ما يصبّحك ويمسّيك بالدّعاء لك بالسّتر والعافية.

فالحلّ هو أن تتخلّيْ عن هذا كلّه، وتستبدلي ذلك كلّه بتلاوة كتاب الله عزّ وجلّ والقراءة في الكتاب النّافع وسماع الشّريط الصّالح والمشاركة في الأعمال الخيرة .

الباحثات عن السراب

[أصل هذه الرسالة محاضرة صوتية]

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على خير خلق الله أجمعين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتّبع سنّته واقتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد:

فأسأل الله تبارك وتعالى أن يكون هذا اللّقاء لقاءً طيّباً مباركاً، وأن يكون هذا المجلس في موازين حسناتنا يوم نلقاه، وأن يثيب كلّ من كان سبباً في إقامة مثل هذا المجلس المبارك.

حديثنا أيّها الإخوة والأخوات عن الباحثات عن السّراب؛ حين يتيه المرء في الظّهيرة وسط الصّحراء يتبدّى له أثر ضوء الشّمس على أنّه ماء زلال، وكلّما اقترب منه ابتعد هذا الماء، وهكذا يجري وراءه يريد إدراكه فيكون أسرع منه، إنّه السّراب الذي يتبدّى للإنسان بصورة يحبّها، وحين يبلغه يجده هباء لا حقيقة له.

حين نتأمّل واقع النّاس اليوم نرى عجباً، نرى الرّجل يختار اللّباس الواسع والسّاتر لجسده، بينما تسعى المرأة لاختيار لباس من نوع آخر.

والسّؤال الذي يفرض نفسه: هل هذا السّفور يرتبط بدافع وعامل موضوعي أم هو وضع اجتماعي تسايره المرأة؟ هل الأصل في المرأة أن تكون سافرة مبدية لمفاتنها، أم الأصل أن تكون محجّبة مستترة؟ لماذا لا تسير المرأة على سجيّتها وطبيعتها؟ بل لماذا تتسابق الأزياء الحديثة في مقدار ما تبديه من مفاتن المرأة وجسدها؟ بل على حساب انطلاقها في سيرها وصحّتها؛ فكثير من الملابس الضيّقة التي ترتديها النّساء لها آثارها الصحيّة التي لا تخفى، **أليست صورةً من الرّغبة في استثارة الآخرين؟**

كانت الفتاة في بلاد المشرق مستترة محتشمة، وما أن جاء المستعمر إلى بلاد المسلمين بنفسه، وبعد ذلك بإعلامه، حتى سارت الفتاة في طريق نساء الغرب، وصِرتَ حين تلقاهنّ في الأماكن العامّة لا تفّرق بينهنّ وفتيات الغرب إلّا بلون البِشرة، فما الذي يدعو الفتاة المسلمة للسّفور؟ وما الذي يمنعها من الحجاب؟

في هذا اللّقاء المبارك بإذن الله سأسعى للإجابة على هذا السّؤال، وأملي من أختي الكريمة الإنصات والمتابعة، والله قد جعل لها عقلاً تميّز به ما تسمع وما تقرأ، فإن رأت خيراً قبلته، وإن رأت غير ذلك فلن يمليَ أحدٌ على أحد اقتناعاته.

إنّ حديثنا أيّها الإخوة والأخوات حديث لتلك الفتاة التي اختارت طريق التبرّج والسّفور، ورفضت أن تلتزم بهذا الحجاب، وهو حديث أيضاً لتلك الفتاة التي أخذت الحجاب صورةً، فارتدت حجاباً تعتقد أنّ فيه استجابة لأمر الله، بينما هو يُبدي مفاتنها فصارت أقرب ما تكون إلى وصف النبي ﷺ في قوله: (**صنفان من أمّتي لم أرهما قط: نساء كاسيات عاريات رءوسهنّ كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنّة ولا يجدن ريحها**)، ارتدت في ظاهرها الحجاب، لكن تفنّنت في إبراز مفاتن جِسمها ما بين لباس ضيّق، وما بين أجزاء تُبديها من هنا وهناك، فغاب المعنى الذي شُرع من أجله هذا الحجاب.

وهو أيضاً خطاب للفتاة الصّالحة المتديّنة التي تنطلق داعية لأخواتها، فهي بحاجة إلى أن تعي ما يفكّر به هؤلاء، فالفتاة الصّالحة رسولة خير إلى أخواتها، إنّها حين تعي واقع هؤلاء النّسوة فإنّها ستكون أقدر على دعوتهنّ والتّأثير عليهن.

وهو خطاب للآباء والمصلحين حتى يعوا هذه الظاهرة المؤلمة في مجتمعات المسلمين.

شبهات دعاوى ترك الحجاب والرد عليها

إنّ من أوّل ما تحتجّ به الفتاة المتمرّدة على الحجاب : **أنّ الحجاب خلاف الأناقة،** يميل النّاس بطبيعتهم إلى حبّ الجمال والأناقة، وليس من عيب في الإنسان أن يسعى لأن يكون أنيقاً جميلاً، لكن هل الأناقة أمر موضوعي يتّفق عليه النّاس أجمع أم هو أمر نسبيّ؟ فما يعدّه الهنود أناقة قد لا يتقبله الأفارقة، وما يُعجب أهل الصّين قد لا يعجب أهل المشرق؟

إنّني اليوم أتحدّث أمامكم باللّباس الذي يلبسه أهل بلادي وهو الذي اعتاده النّاس وأحبّوه، بينما الأناقة عند غيرهم من بلاد المسلمين تعني نوعاً آخر من اللّباس، فلِمَ يكون السّفور أقرب إلى الأناقة من الحجاب؟

ودعونا نثير سؤالاً جريئاً مهماً؛ **ماذا يريد الرّجال من المرأة؟ ما الذي يثيرهم إلى أن يُطلقوا نظراتهم نحوها يميناً وشمالاً؟** وحين تعمل المرأة، فما المكان المفضّل لعملها؟ لننظر إلى واقع الغرب الذي بلغ القمّة في المساواة الشّكلية بين الرّجل والمرأة؛ كم امرأة مديرة لجامعة؟ كم امرأة وزيرة؟ كم امرأة تشغل منصباً دستورياً؟ كم امرأة تحكم ولاية؟ أين هي من هذه الوظائف؟ إنّنا حين نتأمّل في المواطِن التي تُوضع فيها المرأة نرى أنّها توضع حيث تكون أكثر إثارة للآخرين، إنّها تعمل في الاستقبال في الفنادق والأماكن العامّة، في السّكرتارية، في المرافق إلى غير ذلك.

إنّ المرأة العاقلة أياً كان دينها وخُلقها تأبى أن تكون مجرّد وسيلة لإثارة الآخرين وإغرائهم، وما معنى اختيار الحسناء في هذه المواطن إذا كان الباعث هو العمل وتوظيف هذا العنصر.

عندما سئل مدير مكتب توظيف في نيويورك عن أهمّ العوامل التي يجب أن تتوافر لدى المرأة لتحصل على وظيفة قال: **(الجمال)!** ولهذا انتشرت عمليات التّجميل، ففي بريطانيا تمّ إجراء خمس وتسعين ألف عملية تجميل عام 1998م .

وفي عاصمة عربية، قرأتُ إعلاناً وضع على واجهة أحد المحلّات، هذا الإعلان يطلب فيه صاحب هذا المحل نساء حسناوات للعمل في المحل!

إذا كان المقصود هو العمل والقيام به فما معنى أن تكون هذه المرأة التي تعمل في هذا المحل التّجاري حسناء؟ إنّه يريد أن يوظّف أناقة المرأة وحسنها لكسبه هو .

في لقاء مع البريطانية المسلمة **سارة جوزيف** والتي تبلغ الرّابعة والعشرين من العمر واعتنقت الإسلام قبل سنوات قالت: **من ناحيتي كان قرار ارتداء الملابس الإسلامية ينبع من قناعة قويّة؛ لأنّني أعتقد أنّ جسم المرأة يُساء استخدامه بصورة كبيرة في المجتمع البريطاني، فصور الفتيات شبه العاريات تنتشر في كلّ مكان، حتى أصبح جسم المرأة ملكيّة عامّة لكلّ أفراد الجمهور، أنا أكره ذلك وأعترض عليه؛ لأنّني أودّ أن يحكم النّاس علي من خلال شخصيتي وليس من منطلق جسمي أو شكلي، وهكذا حرّرتني الملابس الإسلامية من أن أكون أسيرة منظري وشكلي الخارجي.**

ثانيا: الحجاب يعطل الحياة العامة: يمثل انطلاق المرأة في ميادين الحياة العامّة قضيّة محوريّة كثيراً ما تُثار وتُناط بها أمور قد لا تكون بالضّرورة ذات علاقة بها، فالحجاب لدى طائفة من هؤلاء يعوق المرأة عن المشاركة بفاعليّة، ويعطّل مسيرتها، وما دُمنا بحاجة إلى مشاركة فاعلة للمرأة فلا معنى لأن تصرّ على تمسّكها بالحجاب!

ودعونا هاهنا نثير تساؤلاً له أهميته: **ألا يمكن أن تمارس المرأة دورها الفاعل في الحياة وهي بحجابها؟** وحين يرتبط التّخلي عن الحجاب بذلك في مجتمعات الغرب فلا يعني أنّ المسألة قد غدت محسومة في سائر المجتمعات، ودعونا نلقي نظرة سريعة على واقع المرأة الغربية التي لم يعد يعوقها شيء، والتي وصلت إلى كلّ شيء، كيف كان واقعها حين مارست الحياة العامّة كما يمارسها الرّجال.

إنّ واقع المرأة العاملة في الغرب واقع يبعث على المأساة، فمن أوّل مظاهر ذلك التّمييز، فلا يزال الغرب الذي يناضل دوماً عن حقوق الإنسان وعن حقوق المرأة والذي يعتبر انتهاك أي بلد من بلاد المسلمين لحقوق المرأة موجباً لعقوبات اقتصاديّة، بل موجباً لحرب قد تشنّ على تلك البلاد لإنقاذ هذه المرأة المظلومة؛ لا يزال الغرب في مجتمعاته غير قادر على حسم مسألة التّمييز ضدّ المرأة.

تقول إحدى الغربيات وهي **إيفان**: (ظلّ التّمييز بين الرّجل والمرأة هو سمة المجتمع الأمريكي حتى مع اقتراب القرن العشرين من نهايته، ومن أكثر المظاهر التي تنتشر في تلك المجتمعات التّحرش الجنسي في أماكن العمل، دلّت إحدى الدّراسات على أنّ (٩٠٪) من الفتيات في أمريكا عانين من التّحرش الجنسيّ) !

وتقول **لين فارلي** مؤلفة كتاب (**الابتزاز الجنسي**) الذي طبع عام (1978م) ـ أي كان هذا الكتاب قبل ما يقرب من خمسة وعشرين عاماً : (إنّ الاعتداءات الجنسيّة بأشكالها المختلفة منتشرة انتشاراً ذريعاً في الولايات المتّحدة وأوروبا، وهي **القاعدة** وليست الاستثناء بالنّسبة للمرأة العاملة في أي نوع من الأعمال تمارسه مع الرجال)!

ويقول مكتب المرأة في **لجنّة الحقوق المدنية للولايات المتحدة**: (إنّ هذا الابتزاز الجنسي للمرأة العاملة واسع الانتشار جداً ويشكّل مشكلة عويصة الحل)!

وقامت إدارة الخدمة المدنية في اليابان بتوزيع ستين ألف كتيب على موظفي الحكومة في محاولة للحدّ من حوادث التّحرش الجنسي داخل المكاتب الحكومية.

وتقول **لين فارلي** مؤلفة كتاب (**الابتزاز الجنسي**) الذي سبقت الإشارة إليه، تقول متحدثة عن الانتشار الذّريع لهذا الابتزاز وأنّه تحوّل إلى قاعدة وليس حالة شاذة: (وكشف مسحٌ استطلاعي أعدّته وزارة الداخلية البريطانية أن (80٪) من ضابطات الشّرطة أي بنسبة (4/ 5) يتعرّضن للمضايقة الجنّسية خلال نوبات العمل الرّسمية، وشارك في الاستطلاع (1800) ضابطة في عشر مديريات أمن في إنجلترا وويلز)!

وقالت منظمة العمل الدولية: (إنّ النّساء العاملات في مختلف دول العالم الصّناعي يعانين من مضايقات تجبر كثيرات منهنّ على ترك وظائفهن)، وحذّر التّقرير أرباب العمل من أنّ عدم معالجة هذه المشكلة يمكن أن يؤثر على الأداء الاقتصادي لشركاتهم وأن يكون سبباً لفقد موظّفات أكفاء ولتكاليف إضافية بسبب عمليات التقاضي.

وأظهر التّقرير أن (84٪) من النّساء العاملات في إسبانيا و (74٪) في بريطانيا يبلّغن عن تعرّضهن لمضايقات، وأشار **هانس** في تعليق على التّقرير إلى أن الأرقام الحقيقية للمشكلة أعلى من ذلك بكثير؛ لأنّ نسبة غير قليلة من الحالات لم يتم الإبلاغ عنها، ويرجع السّبب في ذلك في الأغلب إلى أنّ النّساء اللّاتي تعرّضن لها خَشِينَ من العواقب.

وحين تتعرّض المرأة العاملة للابتزاز الجنسي فلا خيار لها إلّا أن تتجاهل قيمتها الأخلاقية وعفّتها؛ لأنّ أي عاهرة تستطيع أن تحتلّ مكانها بسهولة إذا هي رفضت الانصياع لرغبات رئيسها الجنسيّة.

هذا أيّها الإخوة والأخوات ما جنته المرأة حين خرجت للحياة العامة، فماذا حقّقت من وراء ذلك، إنّه طريق موحش مظلم تقابله المرأة المسلمة، تُقاد، وقد تستجيب أحياناً، فتلهث وراء السّراب تريد أن تذوق طعم السّعادة التي ترى أنّ المرأة الغربية قد نالتها، ويخفى عليها أنّها هناك تعاني من ابتزاز وتعاني اقتيادها إلى مذابح الفضيلة والعفاف لتروي نزوات طائشة لمن لا يرون فيها إلّا أنّها وسيلة لإشباع نهمهم نحو الشّهوات.

أيها الأخوات! أيها الإخوة الكرام! هذا هو واقع تلك المرأة التي ترى أن العفاف وأنّ الحجاب يعطل الحياة العامة، هل نريد أن تقاد مجتمعات المسلمين، وأن تقاد فتيات المسلمين لأن تعيش هذا الواقع الذي تعيشه تلك البلاد التي تقتدي كثير من فتياتنا اليوم بواقع نسائهم؟

رابعا: الحياء وسخرية الآخرين: من الذي يلوم النّاس حين يستحون؟ أليس الحياء دلالة توقير وتقدير للآخرين؟ أليس الحياء يمنع صاحبه من ارتكاب ما لا يليق؟ يستحي الإنسان أن يخالف الآخرين ويبدو أمامهم بمظهر يدفعهم للسّخرية منه ويستحي أن يفعل أمامهم ما يكون منقصة في حقّه، والحياء خلق ممدوح وفضيلة سامية، ومن هنا أكّد عليه سيّد النّاس وأحسنهم خلقاً وعدّه شعبة من الإيمان، وحين رأى رجلاً يعظ أخاه في الحياء قال ﷺ: (**دعه فإن الحياء من الإيمان**)، والحياء خصلة فطريّة في المرأة، بل هي مضرب المثل في الحياء، وقديماً وُصِفَ النبي ﷺ بأنه: (**أشدّ حياء من العذراء في خدرها**)، لذا فحين جاء الإسلام وحفظ للمرأة حقّها ومكانتها كان من أهمّ ما قرّره أنّ لا تتزوج الفتاة دون إذنها،

لكن لما كان الحياء قد يعوق الفتاة عن إبداء موافقتها على الزّوج المتقدّم لها؛ فقد جعل صمت البكر دليلَ قبولها بالزّوج بخلاف الثّيب، فقال ﷺ: (**الأيّم أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن في نفسها وأذنها صماتها**) ، لكن انتشار التّساهل في الحجاب في مجتمعات المسلمين قلب الصّورة لدى بعض الفتيات فصرنا نرى طائفة منهنّ يمنعهنّ الحياء عن ارتداء اللّباس الشّرعي، فهي تخشى أن تبدو بصورة غير لائقة، وتستحي من أن تلتزم باللّباس الشّرعي الّساتر، إنّها الصورة المنكوسة، فالحياء يدعو إلى السّتر والعفاف، والحياء يدعو إلى البعد عن التّبرج وإظهار المفاتن، ولئن دعا الفتاة حياؤها من النّاس أن تجنح للتّبرج والسّفور أفلا يدعوها حياؤها من الخالق البارئ الذي يراها أينما حلت وارتحلت ويعلم نواياها وطوِّيتها إلى التزام أمره عزّ وجلّ؟

أوصى النّبي ﷺ أصحابه بالحياء فقال: (**استحيوا من الله تعالى حق الحياء**)، فتساءلوا مخبرين أنّهم يستحون فقال ﷺ مفسراً حقيقة الحياء: (**من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرّأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**) .

خامسا: الثقافة والتعليم: لم تعد الفتاة اليوم هي ابنة القرية التي لا تقرأ ولا تكتب، فقد تعلمت وخاضت ميادين الحياة العلمية فحازت أعلى الشّهادات والدّرجات، **وحين عاشت فتاة الإسلام داخل أروقة الجامعة، ورأت ما فيها من اختلاط وسفور**، ورأت في المقابل أنّ السّتر والحياء ارتبط بجدّتها وأمّها شعرت حينها أنّ الفتاة المتعلّمة لا ينبغي لها أن تلبس هذا اللّباس الذي لا يليق إلّا بالقروية الجاهلة!

ما العلاقة بين التّعليم والسّفور؟ هل التّعليم يدعو إلى الفضيلة والعفّة أم

يدعو إلى التّهتك والسّفور؟ هذه كاتبة من إحدى بلاد المسلمين سخّرت نفسها للنّضال فيما تسميه **معركة تحرير المرأة**، الدكتورة نوال السعداوي ألفت كتاباً عنوانه: **الله مات في النيل!!** تعالى الله عما تقول! وأين طبع؟ **طبع في تل أبيب**، ومما قالته هذه الكاتبة: إنّ فكرة الحجاب نشأت في التّاريخ البدائي القديم لأسباب صحّية وقائيّة، ثمّ اكتسبت على يد اليهود صفة دينيّة، لم يكن بوسع النّساء في المجتمع الصّحراوي الشّحيح بالماء أن يجدن وسائل النّظافة الكافية، خاصة في فترات الطّمث والولادة؛ ولهذا تقرّر عزل المرأة فيما يشبه الحجر الصّحي خلال أيام الولادة والطّمث، لكن فكرة عزل المرأة اتّخذت شكلاً دينياً وتطوّرت من عزل المرأة إلى فرض الحجاب عليها، واتّخذ هذا الحجاب شكل تغطية رأس المرأة، مع أنّ الرأس ليس عورة وليس عضواً جنسياً! وتقول: أنا أرى أنّ الفتاة التي تتغطى مثل الفتاة التي تتعرّى، ومثل الفتاة في أوروبا وأمريكا التي ترتدي الميني جيب! التّعرية والتّغطية واحدة، لماذا؟ لأنّها تقول: أّن المرأة جسد، وتقول: فالوجه هو الإنسان ومن تُغطِّي وجهها ليست بإنسانة!

ردت عليها الكاتبة **سهيلة زين العابدين حماد رئيسة ومنشئة مدارس تحفيظ القرآن الكريم في المدينة النبوية، وعضو رابطة الأدب الإسلامي وعضو اتحاد المؤرخين العرب**، فقالت لها: بأي حقّ تُلغي إنسانية المرأة التي تغطّي وجهها، إنّ محدثتك تغطّي وجهها؛ لأنّها إنسانة كّرمها الله بأن شاء لها أن تولد وتعيش وتتعلم في مهبط الوحي ودار الهجرة، وتنتمي إلى هذا المجتمع المسلم الذي يحترم إنسانية المرأة ويصونها فحجب وجهها عن أعين الرّجال **ولكنّه لم يحجب عقلها ويقيد فكرها**، إذ فتح لها أبواب العلم والمعرفة على مصراعيها، ونالت منها ما أهلها بأن تكون رئيسة لمدارس تحفيظ القرآن الكريم في المدينة المنورة، وعضواً في رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وعضواً في اتحاد المؤرّخين العرب، ودُرِّست مؤلفاتها في

الجامعات، وتعتمد بحوثها في أطروحات الماجستير والدكتوراه، وتوّزع مؤلفاتها في الوطن العربي، وتنشر مقالاتها وبحوثها في مختلف الصّحف والمجلات، ومع ذلك لم يرها أجنبي قط، وها هي تقف أمامك لتردّ على أقاويلك، وتحاجّك بالعلم الذي تتمنطقين به، وتتجرّئين على خالقك باسمه.

وتمضي قائلة: وإن كان مرجعك مؤلفات فرويد وماركس اليهودي وإنجلز وجان بول سارتر وكنزي وفاسترز وجونسون وكاري هوم لي وسيرتي وغيرهم من أصحاب مدرسة التّحليل النفسي الفرويدي؛ فإنّ المرجع الأوّل لمحدّثتك هو كتاب الله ثمّ سنّة رسوله ﷺ، وإن كان أساتذتك فرويد وماركس فإنّ المعلم الأوّل لمحدّثك هو محمد ﷺ ثمّ الخلفاء الراشدون، ثمّ بقية الصّحابة والتّابعين رضوان الله عليهم، فلتكن المواجهة إذاً بين ابنة الحجاب التي تغطّي وجهها وتؤمن بتشريع خالقها وبين ابنة السّفور التي تتجرأ على خالقها وتعترض على تشريعاته وتقول: إنّها لا تصلح للعصر.

إنّ كاتبة هذه المقالة ليست قروية جاهلة، بل هي متعلّمة من أرقى الكاتبات والمتعلمات، ومع ذلك لم يكن هذا التّعليم والترقي عائقاً لها عن ارتداء الحجاب.

دخلت فتاة في أمريكا في أحد الأسواق، وإذا بها ترى امرأة متحجبة حجاباً كاملاً فأرادت أن تسخر منها وتزدري تمسكها بالحجاب في بلاد الحريّة، فماذا فعلت؟ قالت هذه الفتاة بلهجة متهكمة: حجاب هاهنا! دعينا من هذا التخلّف، فالتفتت إليها هذه المرأة المتحجبة ولم ترد عليها، فكرّرت هذه الفتاة سخريتها ولم تجبها تلك بشيء إلّا أنّها قالت باللغة الإنجليزية: عفواً لا أعرف اللّغة التي تتكلمين بها! أنا أمريكية، فضحكت هذه الفتاة وعجبت من لبسها الحجاب، فقالت تلك المرأة الأمريكية المسلمة بلهجة واثقة: اسمعي أنا أمريكية

عشت العري والخلاعة أصالة، وأنا أعرف تماماً ماذا جلب لنا هذا العريّ من بلاء، ولكن أحمد الله أن هداني للإسلام، وشرع لي الحجاب، لقد صار لأجسادنا وذواتنا قيمة بعد أن كنّا ألعوبة للغادين والرّائحين، افهمي يا مسكينة هذا الكلام جيداً وانتبهي لنفسك ولا تكوني صورة سيئة عن مسلمات العرب، وانهالت عليها بالنّصائح حتى ذهلت تلك الفتاة المتبرّجة وبدأت تبكي وكانت صدمة لها لم تنسها لأيام، قال قريبون منها: فلبثت أسبوعاً لا تخرج من دارها ثم رأيناها تخرج .

سادس : الحضارة والمدنية: يرتبط السّفور بالمدنية والتّحضر والحجاب بالتّخلف والبداوة لدى بعض فتيات المسلمين، ومن ثمّ فهي تتخلّى عن الحجاب لتكون أكثر تحضّراً، ودعونا نثير هذا السّؤال مرّة أخرى: ماذا جنى العالم المتحضر من السّفور؟

تقول كاتبة إنجليزية وهي **نس إنيرود**: ليست بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهارة، تنعم المرأة بأرغد عيش، تعمل كما يعمل أولاد البيت ولا تمسّ الأعراض بسوء، نعم، إنّه لعار على بلاد الإنجليز أن تجعل بناتها مثلاً للرّذائل لكثرة مخالطة الرجال.

انتشرت في تلك المجتمعات الخيانة الزوجية، ففي إحصائية في مطلع هذا القرن الهجري في أوروبا (75٪) من المتزوجين يخونون زوجاتهم قبل الزّواج، و (80 – 85٪) لهم خليلات.

انتشار الاختطاف رغم أن أبواب التّمتع بالحرام متاحة لهؤلاء.

أعلن **مركز الضحايا الوطني** الذي يناصر حقوق ضحايا جرائم العنف أن معدل الاغتصاب في الولايات المتحدة أصبح (1300000) أي: (1/ 3) امرأة، وأضاف المركز أنّ واحدة من كلّ 8 بالغات في الولايات المتحدة تعرضت

للاغتصاب ليكون إجمال من اغتصبن (12100000) على الأقل، ويشير المسح إلى أن (61٪) من حالات الاغتصاب تمّت لفتيات تقل أعمارهن عن (18) عاماً، وأن (29٪) من كلّ حالات الاغتصاب تمت ضدّ أطفال تقلّ أعمارهم عن أحد عشر عاماً، وأظهرت الأرقام زيادة معدل الاغتصاب عن العام الذي سبقه بنسبة (59٪) ، وفي بريطانيا (9000) فتاة صغيرة لم يتجاوزن الخامسة عشرة حملن عام (1966 للميلاد) !

انتشار الشذوذ، ممارسة الشّذوذ بين الرّجال وبين النّساء هو لون آخر من ألوان ما جنته تلك الحضارة، انتشار إتيان المحارم، اعتداء الآباء على بناتهم، بل اعتداء بعض الأجداد على حفيداتهم، اعتداء الإخوة على أخواتهم، أرقام هائلة يضجّ منها ذلك العالم، هذا هو واقع تلك الحضارة، وهذا هو واقع تلك المدنية، فكيف بفتاة الإسلام تعتقد أنّ التّخلي عن الحجاب هو مظهر من مظاهر الحضارة، وكيف بها ترى أنّ الحجاب والسّتر مظهر من مظاهر التّخلف، فماذا جنى ذلك العالم المتحضّر؟ الذي يبدو منطقياً أنّه حينما ينتشر السّفور والإباحية في أي مجتمع أنّ حالات الاغتصاب تقلّ وتتضاءل، لأنّ من يريد الفجور أمامه أبواب متاحة، والمفترض منطقياً أن تزيد حالات الاغتصاب وحالات الشذوذ في المجتمعات التي لا يتاح فيها الباب للممارسة الجنسية خارج إطار الزّواج، لكن الواقع يشهد بخلاف ذلك، فهل فتاة الإسلام تجعل ذلك المجتمع الذي ترى منه صورة من صور الرّقي، هل يسوغ أن تجعل ذلك المجتمع مرآة لها وترى أنّها حين تلتزم الحجاب والستر والعفاف تنتمي إلى عصر التّخلف والرّجعية؟

المعوق السابع: الزميلات والصديقات: إنّ الصّديق والصّاحب له أثره على الإنسان؛ ولهذا أوصى النبي ﷺ قائلاً: (**لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي**) ، وأخبر ﷺ (**أن المرء على دين خليله -قال:- فلينظر أحدكم من**

يخالل)، ويوم القيامة يحشر المرء مع من أحبّ، فإن أحبّ الصالحين حشر معهم ولو كان عمله دون عملهم، وإنّ أحب غيرهم حشر معهم.

الفتاة تختار صديقاتها ممن تلتقي بهنّ في الجامعة أو في حيّها من أقاربها وتعيش معهن، وللصّديقات تأثير بالغ على الفتاة، فحين تكون صديقات الفتاة من السّافرات أو من المستهينات بالحجاب فإنّ هذا يمثل عائقاً لهذه الفتاة عن العودة إلى ما فرض الله عز وجل عليها من السّتر والعفاف، وقد أخبر الله تبارك وتعالى عن حال تلك الصّلة والعلاقة التي تبنى على خلاف طاعة الله تبارك وتعالى؛ يقول عز وجل: {**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولًا**} [الفرقان:٢٧ – ٢٩] .

إنّ هذا المرء سيتبرأ من خليله وصديقه يوم القيامة، فإذا كان يريد النّجاة من هذا الموقف فليتخذ هذا القرار في دار الدنيا وإلا فسيبقى ديناً عليه يدفعه يوم القيامة في يوم لا تجدي فيه هذه البراءة، ولا يجديه فيه هذا التخلّي، وإنما هو مظهر من مظاهر إبراز التّحسر والتأسي.

المعوق الثامن: الشذوذ عن المجتمع: حين يصبح السّفور هو السّمة السّائدة في المجتمع، أو التّساهل في شأن الحجاب هو القاعدة العامة وهو الظاهرة العامة، تشعر الفتاة أنّها حين تلتزم بالحجاب تعيش شاّذة عن هذا المجتمع الذي تعايشه، والشّذوذ ليس بالضرورة صفة سلبيّة، بل هو حين يكون على خير وعلى حقّ هو دلالة على قوة الشّخصية، ودلالة على أنّ الإنسان لا يستجيب لضغط المجتمع، ولا يستجيب لضغط الآخرين.

في كتاب الله تبارك وتعالى قّص الله عز وجل علينا نبأ فتية لا يبلغ تعدادهم

العشرة، عاشوا في مجتمع كان كلّ النّاس فيه من أهل الشّرك والّضلال ودعوة غير الله عزّ وجل، ومع ذلك كان هؤلاء الفتية مؤمنين أتقياء صادقين؛ ذكر الله عز وجل قصّتهم نبراساً للأمم من بعدهم إلى يوم القيامة، إنّ هؤلاء كانوا شاذين في عرف مجتمعاتهم.

بل ها هي امرأة طاغية من الطغاة، وجبّار من المتجبّرين، إنّها امرأة فرعون الذي لم يعرف التاريخ رجلاً أكثر جبروتاً وتسلّطاً منه، وأي جبروت أشدّ من أن يقول للناس: {**مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي**} [القصص:٣٨] ثمّ يقول لهم: {**أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى**} [النازعات:٢٤] ، ومع ذلك آمنت بالله تبارك وتعالى، فضربها الله عز وجل مثلاً للمؤمنين والمؤمنات {**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**} [التحريم:١١] .

كانت وحدها في بيت هذا الجبّار الطّاغية الظالم وذاقت ألوان العذاب والأسى، ومع ذلك بقيت مؤمنة صامدة متمسّكة بما أمرها الله عزّ وجلّ به، فقضت نحبها وأراها الله تبارك وتعالى بيتها في الجنّة قبل أن تلفظ روحها، وبقيت مثلاً يتأسى به المؤمنون والمؤمنات إلى قيام الساعة.

المعوق التاسع: سلوك بعض المحجبات وواقعهن: تحتجّ بعض الفتيات بأن سلوك وأخلاق بعض الفتيات المحجبات لا يقود إلى الحجاب، فإنّها ترى منهنّ سوء الخلق، ترى منهن الغشّ، ترى منهن الكذب إلى غير ذلك من هذه المظاهر.

دعونا نأخذ الصّورة المقابلة، لو رأينا امرأة متبرّجة تدخّن أو تتعاطى المخدّرات أو تقع في الجريمة، فهل يلفت نظرنا ذلك ونقول: إنّ هذا الفساد والإجرام ارتبط بالتّبرج والسّفور؟ إنّ الذي يلفت نظرنا هو النّموذج الشّاذ،

فتلك الفتاة التي تمارس سلوكاً سيّئاً وهي محجّبة إنّما لفتت نظرنا لأنّها محّجبة ولو كانت سافرة لما لفتت نظرنا.

والحجاب لا يعني العصمة، فحينما تتحجّب الفتاة فهي تلتزم بأمر من أمور الله تبارك وتعالى، تلتزم بفريضة من فرائض الله عزّ وجل على المرأة، وهذا لا يعني أنّها تحولت إلى امرأة معصومة سليمة من الأخطاء.

وهكذا الرّجل حين يظهر عليه أثر الصّلاح والتّدين فلا يعني أنّه قد أصبح إنساناً معصوماً، وإذا وجدت هذه الحالات فهي حالات شاذة؛ لكن الغالب على الذين يظهرون بمظهر الصّلاح من الرّجال والنّساء هو أنّهم منطقّيون مع ما يظهرون أنّ باطنهم يحكي ظاهرهم، هذا هو الأصل وهو الغالب، وما سوى ذلك في حالات شاذة.

الأمر العاشر: الأهم صلاح القلب: تقول بعض الفتيات المسلمات: نعم إنّني متبرّجة، إنّني سافرة، ولكنّي طيبة القلب، والأهم ليس في المظهر، الأهم هو صلاح القلب.

أيها الإخوة! ما في القلب يظهر أثره على سلوك الإنسان وعمله، إذا ادعى شخص أنّه يحبّ إنساناً وهو مع ذلك يسيئ إليه وينفر منه، أو ادعى أنّه يبغضه وهو يجالسه ويشتاق إليه ويسعى لمجالسته، فهل من حوله سيصدّقون هذه الدّعوى؟ إذا ادّعى زوجك أنّه يحبّك ويقدرك ويجلّك ومع ذلك يتلفّظ عليك بأقبح الألفاظ، وهو يسّب ذلك اليوم الذي عرفك فيه، وهو يبحث عن زلاتك وسقطاتك ويهمش محاسنك، فهل تقتنعين فعلاً بهذه الدعوى من أنّه يحبّك؟ الانتساب للجنديّة، لو أنّ إنساناً لبس ملابس الجند فهل يؤهّله ذلك لأن يكون جندياً، وهل يقبل النّاس منه ذلك؟ لو انتسب لمؤسسة أو جامعة وهو يقول: إنه

جاد وحريص على الدّراسة ومع ذلك لم يحضر الدراسة، لم يحضر الامتحانات، فهل يمكن أن يجتاز هذه الجامعة؟ هل يمكن أن يعطيه صاحب هذا العمل الذي التحق به راتباً لأنّه يؤكّد ويحلف الأيمان المغلظة أنّه جادّ في ذلك؟ إنّ مجرد الدّعوى لا تكفي، إذاً: **الفتاة حين تقول إنّها طيبة القلب صالحة القلب فمرآة طيب القلب وصلاحه استجابتها لأمر الله تبارك وتعالى.**

الأمر الحادي عشر: تقول بعض الفتيات: إنّ الأهم الصّلاة والصّيام، إنّني أصلي، أحافظ على الصّلاة، أصوم شهر رمضان، أجتنب الفواحش، وهذا هو الأهمّ، وهذه الحجة كثيراً ما نسمعها من كثير من المسلمين حينما ينكر عليهم معصية أو منكر.

حين يحترم الإنسان نظاماً من أنظمة البشر فهل يعفيه ذلك عن احترام سائر الأنظمة؟ هناك أنظمة وقوانين تلزم صاحب البناء أن يلتزم بها، فإذا التزم بواحد من هذه الأنظمة فهل يُعفى من البقية؟ هناك أنظمة تلزم سائق السّيارة كأن يحمل رخصة قيادة للسيارة، وأن يضع لوحات على السيارة، وأن يرتدي حزام الأمان، وأن يسير وفق سرعة محددة، فلو أنّ صاحب سيارة من السيارات ارتكب مخالفة من المخالفات ثم أوقفه رجل الأمن فقال: إنني محترم للنظام، إنني أحمل رخصة قيادة، إنني أحمل رخصة سيارتي، فلن يقبل منه ذلك.

إذاً: التزام الإنسان بشيء من شرع الله لا يعفيه من بقية الفرائض، فالتزام الفتاة بالصلاة هو استجابة لأمر الله عز وجل، لكن هذا لن يعفي الفتاة من أن تلتزم ببقية ما شرع الله عز وجل لها.

وهكذا شأن المسلم في سائر أحكام هذا الدين، فحينما يلتزم بالصلاة، يلتزم بالصّيام، يؤدي الحج إلى بيت الله، يشهد أن لا إله إلا الله، فإّن هذا قيام بأركان

عظيمة من أركان الإسلام، لكن هذا لن يعفيه من أن يقوم ببقية الواجبات والشرائع.

هذه أيها الأخوات والإخوة الكرام بعض ما تحتجّ به فتيات المسلمين اللاتي يتنكبنّ طريق الحجاب، اللاتي يسعين نحو السّفور والتّبرج.

صورة من واقع الحياة الغربية

دعونا نختم بصورة من صور واقع الحياة الغربية، ولماذا نورد هذه الشواهد هنا؟ لأنّ تلك البلاد هي التي أصبحت مرآة لفتياتنا ونسائنا، وهي التي سبقتنا في السّفور والاختلاط ومشاركة المرأة للرّجل في سائر ميادين الحياة.

ها هو الغرب اليوم يتراجع عن السفور، يتراجع عن الاختلاط، وهذه بعض شهادات أولئك وهم لا يقولون هذه المقالة ديناً، فهم لا يؤمنون بالله، لكن هذه مقالات بعض حكمائهم وعقلائهم وقد أدركوا خطورة هذا الطريق الذي سارت عليه مجتمعاتهم.

تقول **باميلا سو أرومان** التي أسلمت فيما بعد: إنّ اعتناقها للإسلام أعاد لها كرامتها وعفتها وحقوقها، فيما لا تزال المرأة الغربية تعاني من النّظرة الدّونية واتّخاذها مجرد وسيلة للاستمتاع أو وليمة سهلة على موائد اللئام، وتأسف أسماء لأن معظم نساء الغرب لا يعرفن حقيقة الموقف المشرف للإسلام من قضياهنّ، فلو عرفن ذلك لسارعن إلى اعتناقه.

تقول الأستاذة **جانيت ليفن**: بعد خمس وعشرين سنة من التّعليم المختلط نلاحظ أنّه لا يقدّم الحلّ المأمون، فما زالت الفتيات يتحدّثن عن المخاوف من التّحرشات الجنسيّة في المدارس الثانوية المختلطة، وبسببها يفضّلن المدارس الخاصّة بالبنات، وقد لوحظ أنّ أعداد المتقدّمات إلى كلّيات البنات قد زاد في

السنوات الثلاث الأخيرة زيادة ملحوظة.

وفي صحيفة عربية نشر تحت هذا العنوان: كاتبة أمريكية تقول: **امنعوا الاختلاط وقيدوا حريّة المرأة،** قدمت الصحيفة هذه الكاتبة بقولها: **هلتيان سانسبري** صحفية متجولة تراسل أكثر من 250 صحيفة أمريكية، ولها مقال يومي يقرأه الملايين ويتناول مشاكل الشّباب تحت سنّ العشرين، وعملت في الإذاعة والتلفزيون وفي الصّحافة أكثر من عشرين عاماً وزارت جميع دول العالم، وهي في الخامسة والخمسين من عمرها، تقول الصحفية الأمريكية بعد أن أمضت شهراً في إحدى بلاد المسلمين: (إنّ المجتمع العربي كامل وسليم، **ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسّك بتقاليده التي تقيد الفتاة والشّباب في حدود المعقول،** وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأمريكي والأوروبي، فعندكم تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة وتحتم أكثر من ذلك عدم الإباحية الغربية التي تهدّد اليوم المجتمع والأسرة في أوروبا وأمريكا؛ ولذلك فإنّ القيود التي يفرضها المجتمع العربي على الفتاة الصّغيرة وأقصد من هي تحت العشرين هذه القيود صالحة ونافعة)، وأنا هنا أقرأ مقالها كما هو، وإلا فهي في الواقع ليست قيوداً بل هي أحكام تتشرّف المسلمة بالالتزام بها.

تقول: (لهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم، وامنعوا الاختلاط، وقيّدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب فهذا خير لكم من إباحةِ وانطلاقِ ومجونِ أوروبا وأمريكا، امنعوا الاختلاط قبل سنّ العشرين، فقد عانينا في أمريكا الكثير، لقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعاً معقّداً مليئاً بكلّ صور الإباحية والخلاعة، وإنّ ضحايا الاختلاط والحريّة قبل سن العشرين يملئون السّجون والأرصفة والبارات والبيوت السّرية، إنّ الحرية التي أعطيناها لفتياتنا وأبنائنا الصّغار قد جعلت منهم عصابات أحداث وعصابات جيمس بين

وعصابات المخدرات والرّقيق) !

ويقول أحد الغربيين وهو **هملتون**: إنّ أحكام الإسلام في شأن المرأة صريحة في العناية بها عن كلّ ما يؤذيها ويمسّ كرامتها ويتناول سمعتها، ولم يضيّق الإسلام في الحجاب كما يزعم بعض كتّابنا الغربيين، بل إنّه تمشٍ مع مقتضيات الغيرة والمروءة.

ويقول البروفسور **خون همر**: الحجاب في نظر الإسلام وتحريم اختلاط النّساء بالأجنبي ليس معناه انتزاع حريّة المرأة.

هذه الشهادات أيها الإخوة لم نوردها لأنّنا نعتبرها منطلقاً لتسويق الحجاب والفضيلة، إنّما هي اعترافات من واقع أولئك الذين مع أنهّم لا يدينون بالإسلام إلّا أنهّم رأَوا أنّ هذا السّفور قد قاد مجتمعهم إلى الدّمار والهلاك، ومثل هؤلاء دعاة التّحرير فكثير منهم عاد وتراجع عمّا كان يقول، ومن هؤلاء ما كتبه قاسم أمين يقول: **لقد كنت أدعو المصريين قبل الآن إلى اقتفاء أثر التُّرك بل الإفرنج في نحو تحرير نسائهم، وغاليت في هذا المعنى حتى دعوتهم إلى تمزيق ذلك الحجاب وإلى إشراك النساء في كل أعمالهم ومآدبهم وولائمهم، ولكني أدركت الآن خطر هذه الدعوة بما اختبرته من أخلاق الناس،** فلقد تتبعت خطوات النّساء في كثير من أحياء العاصمة والإسكندرية لأعرف درجة احترام النّاس لهنّ، وماذا يكون شأنهم معهنّ إذا خرجن حاسرات، فرأيت من فساد أخلاق الرّجال بكلّ أسف ما حمدت الله على ما خذل من دعوتي واستنفر النّاس إلى معارضتي، رأيتهم ما مرّت عليهم امرأة أو فتاة إلا تطاولوا عليها بألسنة البذاءة، ثمّ ما وجدت زحاماً في طريقي فمرّت به امرأة إلّا تناولتها الأيدي والألسن جميعاً، إنّني أرى أنّ الوقت ليس مناسباً للدّعوة إلى تحرير المرأة بالمعنى الذي قصدته من قبل.

وربما كان لبعض التّجارب التي مرّت به أثر في نفسه، فها هو يروي أن صديقاً عزيزاً زاره مرّة فلما فتح له الباب قال: جئت من أجل التّحدث مع زوجتك، فدهش **قاسم** كيف يطلب مقابلة زوجته؟ فقال له صديقه: ألست تدعو إلى ذلك؟ إذا لم لا تقبل التجربة مع نفسك، فأطرق **قاسم أمين** صامتا!!

موعظة فتاة

وأختم حديثي بهذه القصة: عادت الفتاة الصغيرة من المدرسة، بعد وصولها إلى البيت لاحظت الأم أنّ الابنة قد انتابها الحزن، فاستوضحت من ابنتها عن سبب هذا الحزن فقالت: أمّاه**!** إنّ مدرستي هدّدتني بالطّرد من المدرسة بسبب هذه الملابس الطويلة التي ألبسها.

الأم: ولكنّها الملابس التي يريدها الله يا ابنتي.

قالت الفتاة: نعم يا أمّاه**!** ولكن المدرسة لا تريده.

قالت الأم: حسناً يا ابنتي، المدرسة لا تريده، والله يريد، فمن تطيعين؟ أتطيعين الله الذي أوجدك وصوّرك وأنعم عليك أم تطيعين مخلوقة لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً؟

فقالت الفتاة: بل أطيع الله.

فقالت الأم: أحسنت يا ابنتي وأصبت.

وفي اليوم التالي ذهبت تلك الفتاة بالملابس الطويلة وعندما رأتها معلمتها أخذت تؤنبها بقسوة، فلم تستطع تلك الصغيرة أن تتحمل ذلك التّأنيب مصحوباً بنظرات صديقاتها إليها، فما كان منها إلا أن انفجرت بالبكاء ثمّ هتفت تلك الصغيرة بكلمات كبيرة في معناها قليلة في عددها: والله لم أدر من أطيع أنت أم هو؟ فتساءلت المدرسة: ومن هو؟ فقالت الفتاة: الله، أطيعك أنت فألبس ما

تريدين وأعصيه هو؟!

فطلبت المعلمة استدعاء أم تلك الطفلة، ماذا تريد منها؟ جاءت الأم فقالت المعلمة للأم: لقد وعظتني ابنتك هذه أعظم موعظة سمعتها في حياتي.

إنّ المدينة يا بنتي تبقى محصنة أمينة ما دامت الأسوار تمنعها بأعمدة متينة، فإذا هوت جدرانها نفذ العدو إلى المدينة.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يمنّ على نسائنا بالستر والعفاف، وأن يجعلهن مؤمنات صالحات قانتات، وأن يحمي بلادنا وبلاد المسلمين من الفجور والفساد والسّوء إنّه سميع مجيب.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فهرس